الحوار مع أهل الكتاب في العهد النبوي
وعلى أي شيء نتحاور؟

إعداد
د. عصام السيد محمود
أستاذ مساعد بقسم الدعوة وأصول الدين
جامعة المدينة العالمية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم. أَمَّا بَعْدُ...

فقد شغلت قضية الحوار بين الأديان في الآونة الأخيرة جانبًا من اهتمامات الساسة والمفكرين والمثقفين؛ حيث عقدت برعاية دولية عديدٌ من المؤتمرات للحوار بين الأديان، واتخذت الدعوة أشكالًا وأسماءً متعددةً، وأنشأت لها العديد من المراكز المتخصصة في أنحاء متفرقة من العالم.

وقد وجدت الدعوة قبولًا وترحيبًا لدى بعض المسلمين باعتبارها ضرورة واقعية تقتضيها ظروف العصر، وتؤيدها نصوص الشرع، ويستدلون على ذلك بدعوة الإسلام إلى الجدل بالحسنى، وبما دار بين النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأهل الكتاب والمشركين من حوارات، ويصلون من ذلك إلى القول بأن الإسلام -بدعوته العالمية ورفضه للإكراه في الدين- يتبنى أسلوب الحوار مع المخالف، وجعل هؤلاء المحصلة النهائية من الحوار التعايش السلمي وإرساء القيم المشتركة، والتعاون من أجل صلاح البشرية، والقضاء على الحروب[١].

وعلى الطرف الآخر يقف عدد من الباحثين مطالبين بوقف هذه الحوارات بصورتها الراهنة بوصفها مهزلة لابد أن تنتهي وقناع يخفي وراءه رغبات دينية وأبعادًا سياسيةً[٢] كما تشكل إرهاصات أولية لإذابة الفوارق بين الأديان على المدى البعيد، مما يشكل تمهيدًا لدعوة وحدة الأديان، كما يتساءل هؤلاء عن مدى إمكانية الحوار حول البنى الفوقية مع تجاهل الأسس والمنطلقات العقدية، وعن نتائج قرابة نصف قرن من الحوار الإسلامي/ المسيحي.

وبين هؤلاء وهؤلاء يتوسط طرفٌ آخر متحدثًا عن إمكانيةِ الحوار شريطة الالتزام بالأسس والضوابط الشرعية، هذا ما دفعني إلى قراءة متأنية لما ورد من حوارات للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع أهل الكتاب ذكرها القرآن الكريم أو ثبتت في السنة الصحيحة؛ في

(١) ويتبنى هذا الرأي الأزهر الشريف؛ بمصر حيث يعقد مؤتمر سنوي لحوار الأديان بين الأزهر والفاتيكان، (انظر: جريدة الأهرام المصرية السنة١٣٣- العدد ٤٤٦٣، الأحد ٢٢ فبراير ٢٠٠٩، ص٨).

(٢) عن الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان انظر: الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان: الحوار الإسلامي المسيحي نموذجًا لسامي رضوان أبو رمان، وعن حقيقة الدعوة ومساراتها انظر: دعوة التقريب بين الأديان للدكتور أحمد عبد الرحمن بن عثمان القاضي، وانظر أيضًا: الحوار بين الأديان: أسراره وخفاياه للدكتور عبد الودود شلبي.

محاولة للإجابة على أسئلة مُتَعَدِدَةٍ تَتَعَلَقُ بِالحِوَارِ محصلتها: هَلْ نَقْبَلُ الحِوَارَ مَعَ الآخَرِ أم نَرْفُضُه؟ وما مَشْرُوعِيَةُ الجَدَلِ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ وغَيْرِهِم؟ وما المَوْضُوْعَاتُ التِي يَنْبَغِي أنْ نَتَحَاوَرَ عَلَيْهَا؟

مَنْ نُحَاوِر؟ وَعَلَى أي شيءٍ نَتَحَاوَرُ؟ ومَا الغَايةُ مِنَ الحِوَارِ؟ يُحَاوِلُ هَذَا البَحْثُ أَنْ يَتَلَمَسَ إِجَابَة تلك الأسئلة مِنْ خِلالِ عَرِضِ وَتَحْلِيْلِ حوارات النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وأصحابه مع أهل الكتاب.

تقوم خطة هذا البحث على تقسيمه إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: عرضت فيها لموضوع البحث وأهميته، ثم قمت بالعرض والتحليل لنماذج من حوارات النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي تمثل أصح ما وقفت عليه في هذا الباب. وذلك من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حوارات اليهود.

المبحث الثاني: حوارات النصارى.

المبحث الثالث: أهداف الجدل مع أهل الكتاب وغايته.

أمَّا عن منهجي في هذا البحث فهو منهجٌ يَجْمَعُ بَيْنَ العرض والتحليل، فقد قمت بعرض حوارات النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قمت بالتعليق عليها، للتعرف على هدي النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في حواراته مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ، لتكون حواراته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نبراسًا لنا نقتدي به في حوارنا مَعَ الآخر.

كَيْفَ نَتَحَاوَرُ؟ وعلى أي شيءٍ نَتَحَاوَرُ؟ هُوَ الدَّرْسُ الذي يُرَكِزُ عَلَيْهِ هَذَا البَحْثُ في عَرْضِهِ لتِلكَ الحِوَارَاتِ[1].

حفلت سِيْرَةُ النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بعديد مِنَ الحِوَارَاتِ بين النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وأَهْل الْكِتَابِ، ولقد كان طبيعيًا أنْ تَكُونَ هناك حوارات بَيْنَ النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ

(١) وقد حرصت على عزو الآيات إلى مواضعها، وتخريج الأحاديث والآثار، والحكم عليها، فما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم اقتصرت في التخريج عليهما أو على أحدهما لالتزامهما بإخراج الصحيح في كتابيهما، وما لم يكن فيهما فقد خرجته من مظانه، وحكمت عليه بما هو أهله، بالنظر في سنده، أو بأقوال العلماء فيه.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأَهْل الْكِتَابِ؛ لما عندهم من علم بمبعث نبي في ذلك الزمن، كانوا يرغبون أن يكون منهم، فلما وجدوه من غيرهم، حسده كثيرٌ منهم، وأبوا الإيمانَ به، وقد سجل لنا القُرْآن الْكَرِيْم طرفًا من حوارات الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع أهل الكتاب، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3] وغير ذلك من الآيات التي تذكر مشاهد الحوار بين الْمُسْلِمِينَ وأَهْل الْكِتَابِ.

وفي سيرة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مواقف عديدة للحديث مَعَ أَهْل الْكِتَابِ والحوار معهم بدءًا من قصة ورقة بن نوفل النصراني الذي قال حينما عرف بحديث الوحي: «هَذَا النَّامُوسُ الَّذِى أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-».. وحواره -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ نَصَارَى نَجْرَان وحوارته المتعددة مَعَ يهود المدينة، وهو ما نتعرض له في المباحث التالية.

(١) آل عمران آية: ٦٤.

(٢) آل عمران آية: ٧١.

(٣) المائدة آية: ٦٨.

المبحث الأول: حوارات الْيَهُود

كَانَ الْأَخْبَارُ مِنْ الْيَهُودِ، قَدْ تَحَدّثُوا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَبْلَ مَبْعَثِهِ لَمّا تَقَارَبَ مِنْ زَمَانِهِ، مما وَجَدُوا فِي كُتُبهمْ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ زَمَانِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَهْدِ أَنْبِيَائِهِمْ إلَيْهِمْ فِيهِ[1].

فلما بُعِثَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وعلموا بما عندهم من علم أنه ذلك النَّبِيّ المنتظر كفروا به حسدًا وكبرًا وإيثارًا للعاجلة على الباقية.

وقد قال رجال من الأنصار: "إنّ مِمّا دَعَانَا إلَى الْإِسْلَامِ مَعَ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَهَدَاهُ لَنَا، لَمَا كُنّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ، وكُنّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ، فَإِذَا نِلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ قَالُوا لَنَا: إنّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمٍ، فَكُنّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ؛ فَلَمّا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَجَبْنَاهُ حِينَ دَعَانَا إلَى اللهِ تَعَالَى، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعّدُونَنَا بِهِ، فَبَادَرْنَاهُمْ إلَيْهِ، فَآمَنّا بِهِ وَكَفَرُوا بِهِ، فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ مِنْ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]"[3].

كان مقتضى علم اليهود السابق بمبعث النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ومعرفتهم بأوصافه أن يسارعوا إلى الإيمان به، ونصرة دعوته، إلا أن الأمر كان على النقيض من ذلك تماما، وجد النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– منهم أشد العناد والتكذيب، حتى بلغ بهم حقدهم وحسدهم له –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنهم كانوا إذا مروا عليه دعوا عليه بالموت موهمين أنهم يحيونه بالسلام، وكان نَبِيّ الرَّحْمَةِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يرفق بهم، رغبة في إيمانهم، ويترك مقابلتهم بمثل قولهم، بل نهى أم المؤمنين عائشة من الإغلاظ في ردها عليهم، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ الْيَهُودُ يُسَلّمُونَ عَلَى النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُونَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَطِنَتْ عَائِشَةُ إلَى قَوْلِهِمْ فَقَالَتْ: عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ٢٣٤).

(٢) البقرة: ٨٩.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢١١). وانظر: صحيح السيرة النبوية للألباني ص٥٧.

مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا يَقُولُونَ؟ قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي أَنِّي أَرُدُّ ذَلِكِ عَلَيْهِمْ فَأَقُولُ وَعَلَيْكُمْ؟[1]

وفي رواية: أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَ: وَعَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ، أَوْ الْفُحْشَ قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ [2].

لم يكن لليهود وجودٌ يذكرُ في مكة؛ حيثُ كانوا يستوطنون المدينةَ، ويتحزبون بها، ومن ثم لم يكن هناك حواراتٌ مباشرةٌ بين النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبين الْيَهُود في العهد المكي، غير ما يذكره أهل السير من أن أهل مكة لما ذاع خبر النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأعياهم أمره، وعجزوا عن شيء يقولونه فيه، أرسلوا إلى يهود المدينة لعلهم يهدونهم إلى شيء لم يهتدوا إليه، يبطلوا به دعوة النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أرسلت قريش النّضْرَ بْنُ الْحَارِثِ وعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ يسألانهم عَنْ مُحَمّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالُوا لَهُمَا: سَلَاهُمْ عَنْ مُحَمّدٍ وَصِفَا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبِرَاهُمْ بِقَوْلِهِ، فإنَّهُمْ أَهْل الْكِتَابِ الْأُوَلِ، وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الأنبِيَاءِ، فَخَرَجَا حَتّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلَا أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَوَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ، وَأَخْبَرَاهُمْ بِبَعْضِ قَوْلِهِ، وَقَالَا لَهُمْ: إنّكُمْ أَهْلُ التّوْرَاةِ، وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا. فَقَالَتْ لَهُمَا أَحْبَارُ يَهُودَ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنّ؛ فإن أَخْبَرَكُمْ بِهِنّ فَهُوَ نَبِيّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرّجُلُ مُتَقَوّلٌ فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ؛ سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدّهْرِ الْأَوّلِ: مَا كَانَ أَمْرُهُمْ؟ فإنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ، وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا: مَا كَانَ نَبَؤُهُ؟ وَسَلُوهُ عَنْ الرّوحِ: مَا هِيَ ؟ فَإِذَا أَخْبَرَكُمْ بِذَلِك فَاتّبِعُوهُ فإنَّهُ نَبِيّ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوّلٌ فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ مَا بَدَا لَكُمْ. [3]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله(١٠/ ٤٦٣) (ح٦٠٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب لم يكن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاحشًا ولا متفحشًا (١٠/ ٤٦٦-٤٦٧) (ح٦٠٣٠).

(٣) يذكر المفسرون هذه الرواية في سبب نزول سورة الكهف وقد ذكرها ابن إسحاق في سيرته بدون سند وأسنده الطبري =

ولما قدم النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– المدينةَ اعتمدَ الْيَهُود منهج الحوارِ والجدلِ وطرح الأسئلة عليه في محاولة لفهم ما عنده لتعقله، وزعزعة يقين بعض من اتبعه ممن لا يزالون على عتبة الإيمان، وتشكيك الناس في دعوته وصرف من يفكرون في اتباعه نهائيا عنه، وللملمة فلول المناوئين له والمخالفين؛ ليكونوا قوة واحدة قادرة على المجابهة والمواجهة.(١)

لقد كان نبي الرحمة –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يغشى الْيَهُودَ في مجالسهم يدعوهم إلى الإيمان مذكرًا إياهم بفضل الله عليهم وعلى أسلافهم.

من أول الحوارات التي دارت بين النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– والْيَهُودِ تلك الحوارات التي عمد النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى استخراج الحقيقة التي يكتمها الْيَهُود، وأعلنوها قبل مبعثه من أنه نبي مرسل موصوف عندهم فِي التَّوْرَاةِ، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

=

إلى ابن عباس وفي إسناده مجهول، فهي بهذا الحال ضعيفة السند إلا أنه توجد بعض القرائن التي ربما ترجح حدوث الواقعة التي تتحدث عنها هذه الرواية.

ومن هذه القرائن أن الآية التي تحدثت عن الروح والآيات التي تحدثت عن ذي القرنين بدأت بقوله تعالى ويسألونك فهي تنص على أن الآيات ما نزلت إلا بعد أسئلة سئلها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ه وسلم، والمعلوم أن الذين وجهوا الأسئلة مباشرة هم كفار قريش، وهم لم يكن عندهم علم بثقافة أَهْل الْكِتَابِ إلا بما أخذوا منهم كما هو معروف من اللقاءات التي كانت تتم بين كفار قريش وأَهْل الْكِتَابِ خارج مكة في الأسفار والرحلات والتجارات.(تفسير سورة الكهف د. جمال مصطفى ص١٥، ١٦. وانظر ابن هشام: السيرة النبوية (١/٣٠٠،-٣٠٢) بدون إسناد، وانظر: تفسير القرآن للطبري: (١٤٣/١٥) و تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥ / ١٣٦)، ومن هذه القرائن أيضا ما أخرجه الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس قال قالت قريش ليهود أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل فقال سلوه عن الروح قال فسألوه عن الروح فأنزل الله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الاسراء:٨٥)، وقالوا أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا فأنزلت ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ (الكهف:١٠٩). (الألباني: صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٦٩- ٢٧٠)(ح ٣١٤٠).

(١) موقف النَّبِيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الديانات الثلاثة (الوثنية والْيَهُودية والنصرانية) لحسن خالد: ص ٦٣، ٦٤

(٢) الأعراف آية: ١٥٧.

ونتعرض في هذا المبحث لنماذج مما صح من حوارات النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ الْيَهُود لنتعرف كيف كان النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحاور الْيَهُود؟ وعلى أي شيء كان يجادلهم؟ وما الغاية من هذه الحوارات؟

الحوار الأول: حوار في إثبات النبوة

روى الإمام أحمد بسنده عَنْ أَبِي صَخْرٍ الْعُقَيْلِيّ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ قَالَ: جَلَبْتُ جَلُوبَةً إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ بَيْعَتِي قُلْتُ لَأَلْقَيَنَّ هَذَا الرَّجُلَ فَلَأَسْمَعَنَّ مِنْهُ قَالَ فَتَلَقَّانِي بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ يَمْشُونَ، فَتَبِعْتُهُمْ فِي أَقْفَائِهِمْ حَتَّى أَتَوْا عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْيَهُود نَاشِرًا التَّوْرَاةَ يَقْرَؤُهَا يُعَزِّي بِهَا نَفْسَهُ عَلَى ابْنٍ لَهُ فِي الْمَوْتِ كَأَحْسَنِ الْفِتْيَانِ وَأَجْمَلِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ هَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِكَ ذَا صِفَتِي وَمَخْرَجِي فَقَالَ بِرَأْسِهِ: هَكَذَا أَيْ لَا، فَقَالَ ابْنُهُ إِي وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا صِفَتَكَ وَمَخْرَجَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: أَقِيمُوا الْيَهُود عَنْ أَخِيكُمْ ثُمَّ وَلِيَ كَفْنَهُ وَحَنَّطَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ[1].

فهذا حوار بين النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويهودي حول نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أنكرها الْيَهُودي، بينما أقر بها ابنه، مخالفا أباه الذي يعلم صدق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ومما يدل على ذلك أيضا ما أخرجه البخاري عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: "أَسْلِمْ" فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَقُولُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ!!"[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح ٢٣٤٩٢) (٣٨/ ٤٧٦)،ورجاله ثقات غير أبي صخر العقيلي فذكره ابن حبان في الصحابة من "الثقات" وسبقه إلى ذلك البخاري ومسلم؛ فجزموا بصحبته، كما في "الإصابة" و"التعجيل ".واذا كان كذلك؛ فالسند صحيح؛ لأن جهالة الصحابي لا تضر، ولهذا قال ابن كثير في التفسير ، تفسير سورة الأعراف: (٣ / ٤٨٣)" هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح، عن أنس." وصححه الألباني في السلسلة الصحيحه (ح ٣٢٦٩) (٧ /٧٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، (٣/ ٢٥٩) (ح ١٣٥٦).

ففي هذا الحوار تتجلى رحمة نَبِيّ الرَّحْمَةِ في حرصه على إنقاذ هذا الغلام من النار؛ حتى ذهب إليه بنفسه يدعوه إلى الإسلام، وقد أقر الأب ابنه، وأمره بطاعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما ذلك إلا لعلمه بصدقه، وقريب من هذين الحوارين الحوار التالي:

الحوار الثاني: دعوة إلى إثبات النبوة

عن الفلتان بن عاصم وذكر أنَّ خاله قال: كنت جالسا عند النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذ شَخَصَ بَصَرُهُ إِلَى رَجُلٍ، فإذا يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان. قال: فجعل النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يكلمه وهو يقول: يَا رَسُول اللهِ؛ فقَالَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قال: لا، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَتَقْرَأُ التَّوْرَاةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قال: أتقرأ الإنجيل؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَالْقُرْآنَ؟ قال: والذي نفسي بيده لو أشاء لقرأته فقال النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (فبم تقرأ التَّوْرَاةِ وَالإنجيل أَتَجِدُنِي نبيًّا؟)، قال: نجد مثلك، ومثل أمتك، ومثل مخرجك، وكنا نرجو أن تكون فينا فلما خرجت تخوفنا أن تكون أنت، فنظرنا فإذا ليس أنت هو، قال قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (ولم ذاك؟)، قال: إن معه من أمته سبعين ألفًا ليس عليهم حساب ولا عقاب، وإن ما معك نفر يسير، قال: (فوالذي نفسي بيده لأنا هو، وإنَّها لأمتي، وإنهم لأكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا وسبعين ألفًا)[1].

وهذا الحوار كسابقه في إثبات نبوته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرد به إقامة الحجة على الْيَهُودي بما يعرفونه من كتبهم من صفاته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما حرص النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على إزالة شبهة ذلك الْيَهُودي، عندما ادعى أنَّ أمة النَّبِيّ المنتظر يدخل منها الجنة سبعون ألفا وأتباعه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قليلون فبين له -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن أمته تزيد بكثير عن ذلك العدد. فتحقق من هذا الحوار إقامة الحجة بإثبات نبوته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإزالة شبهة ذلك اليهودي، وهذا هو الأساس الذي يجب أن ينطلق منه أي حوار هادف.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان باب كتب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (ح٦٥٨٠) (٥٤١/١٤) وصححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، (٩/ ٢٩٦) (ح٦٥٤٦)، وذكره الألباني في: صحيح السنة النبوية (ص٧٤، ٧٥).

الحوار الثالث: دعوة إلى التوحيد وإثبات الرسالة

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ انْطَلَقَ النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُود بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عِيدٍ لَهُمْ، فَكَرِهُوا دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَا مَعْشَرَ الْيَهُود أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يُخْبِطْ اللَّهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الْغَضَبَ الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ. قَالَ: فَأَسْكَتُوا مَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ ثَلَّثَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ. فَقَالَ: أَبَيْتُمْ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأنا الْحَاشِرُ، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَأَنَا النَّبِيّ الْمُصْطَفَى آمَنْتُمْ أَوْ كَذَّبْتُمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ، حَتَّى إِذَا كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ نَادَى رَجُلٌ مِنْ خَلْفِنَا كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ.

قَالَ فَأَقْبَلَ فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: أَيَّ رَجُلٍ تَعْلَمُونَ فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُود؟

قَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْكَ وَلَا أَفْقَهُ مِنْكَ وَلَا مِنْ أَبِيكَ قَبْلَكَ وَلَا مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ أَبِيكَ.

قَالَ: فإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِاللَّهِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي التَّوْرَاةِ.

قَالُوا: كَذَبْتَ ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ، وَقَالُوا فِيهِ شَرًّا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: كَذَبْتُمْ لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ أَمَّا آنِفًا فَتُثْنُونَ عَلَيْهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا أَثْنَيْتُمْ، وَلَمَّا آمَنَ كَذَّبْتُمُوهُ، وَقُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ فَلَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ.

قَالَ فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِيهِ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]" [2].

في هذا الحوار دخل النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى يهود في مجالس علمهم، داعيًا إياهم إلى توحيد الله والإقرار بنبوته، تلك التي أقر بها من شرح الله صدره للإيمان كعبد الله بن

(١) الأحقاف: ١٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة (٣/ ٤١٥). وقال (٤١٦/٣): صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، كتاب إخباره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن مناقب الصحابة (١٠/ ٢٣٧) (ح ٧١١٨). صحيح السنة النبوية (٨٠، ٨١).

سلام الذي جهر بالحق جليًّا أمام معشر الْيَهُود، مظهرًا ما يجحدونه من صحة نبوته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ أنه قَالَ لَمّا سَمِعْت بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَرَفْت صِفَتَهُ وَاسْمَهُ وَزَمَانَهُ الّذِي كُنّا نَتَوَكّفُ لَهُ، فَكُنْت مُسِرّا لِذَلِكَ صَامِتًا عَلَيْهِ حَتّى قَدِمَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ، فَلَمّا نَزَلَ بِقُبَاءٍ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتّى أَخْبَرَ بِقُدُومِهِ، وَأَنَا فِي رَأْسِ نَخْلَةٍ لِي أَعْمَلُ فِيهَا، وَعَمّتِي خَالِدَةُ بْنَتُ الْحَارِثِ تَحْتِي جَالِسَةٌ، فَلَمّا سَمِعْت الْخَبَرَ بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَبّرْت، فَقَالَتْ لِي عَمّتِي، حِينَ سَمِعَتْ تَكْبِيرِي: خَيّبَك اللهُ وَاَللهِ لَوْ كُنْت سَمِعْت بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ قَادِمًا مَا زِدْت، قَالَ فَقُلْت لَهَا: أَيْ عَمّةَ هُوَ وَاَللهِ أَخُو مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَعَلَى دِينِهِ، بُعِثَ بِمَا بُعِثَ بِهِ. قَالَتْ أَيْ ابْنَ أَخِي، أَهُوَ النَّبِيّ الّذِي كُنّا نُخْبَرُ أَنّهُ يُبْعَثُ مَعَ نَفَسِ السّاعَةِ ؟ قَالَ فَقُلْت لَهَا: نَعَمْ . قَالَ فَقَالَتْ فَذَاكَ إذًا. قَالَ ثُمّ خَرَجْت إلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَسْلَمْت، ثُمّ رَجَعْت إلَى أَهْلِ بَيْتِي، فَأَمَرْتهمْ فَأَسْلَمُوا[1].

وأخرج البخاري عن أنَس أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عن أَشْيَاءَ.

فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عن ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟

قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا.

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُود مِنْ الْمَلَائِكَةِ.

قَالَ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ الْوَلَدَ.

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ الْيَهُود قَوْمٌ بُهُتٌ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي.

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥١٧).

فَجَاءَتْ الْيَهُود فَقَالَ النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ؟

قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا.

فَقَالَ النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَام؟

قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ.

فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ.

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَتَنَقَّصُوهُ.

قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ[1].

فهذان حواران بين عبد الله بن سلام وبين عمته من جهة يدل على معرفته بصحة نبوة النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منذ مقدمه إلى المدينة، غير أنه أراد أن يتثبت من ذلك، ويزداد يقينه، فأتى نبي الرحمة -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليجري معه حوارًا آخر، يسأله فيه عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، فلما أجابه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سارع إلى الإيمان به، وأراد أن يحمل هذا الحق الذي آمن به إلى قومه؛ ليقيم به الحجة عليهم على الوجه الذي تبينه الرواية السابقة، لكن قومه من الْيَهُود أبوا إلا الجحود والنكران.

الحوار الرابع: في إثبات النبوة

عمد الْيَهُود إلى التعنت وكثرة الأسئلة على النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ يُجِيبُهُم عَلَى مَا يَسْأَلُونَهُ، فَلا يَزِيْدُهُمْ ذَلِكَ إِلا كِبْرًا وجُحُوْدًا، وَتَمَادِيًا فِيْمَا هُمْ عَلَيْهِ. وَمِنْ تِلْكَ الأسئلةِ التِي طَرَحَهَا عَلَيْهِ الْيَهُودُ هَذِهِ الأَسْئِلَةَ التي جَاءَتْ فِي صُوْرَةِ المحَاوَرَةِ التَّالِيَةِ.

عن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدَّثَهُ قَالَ كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُود.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب *، (٧/ ٣١٩) (ح ٣٩٣٨). وفي هذه الرواية والسابقة ما يدل على أن عبد الله أخفى إسلامه عن الْيَهُود ثم أظهر عندما أتى عليهم النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأن في هذه الرواية أن عبد الله بن سلام هو الذي سأل الْيَهُود عن نفسه وفي رواية البخاري أن النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو الذي سأل عن عبد الله بن سلام ولا تعارض بين الروايتين لأنهما يحملان على تعدد المجالس.

فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ لِمَ تَدْفَعُنِي فَقُلْتُ: أَلاَ تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي».

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ».

قَالَ: أَسْمَعَ بِأُذُنِيَّ.

فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِعُودٍ مَعَهُ.

فَقَالَ: «سَلْ».

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ».

قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً قَالَ «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ».

قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ».

قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا».

قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ.

قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شيء لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ إِلاَّ نبي أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلان.

قَالَ: «يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ».

قَالَ: أَسْمَعَ بِأُذُنِيَّ.

قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ.

قَالَ: «مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلاَ مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلاَ مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ».

قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-: « لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الذي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِيَ اللَّهُ بِهِ»[1].

وقريب من هذا الحوار الحوار التالي:

عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: قال: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إلى رسولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقالوا: أخْبِرْنا عن الرَّعدِ ما هو؟

قال: «مَلَكٌ من الملائكة مُوَكَّلٌ بِالسَّحاب، معه مَخَاريقُ مِنْ نارٍ يَسوقُها بها حيثُ شاء الله»

قالوا: فما هذا الصّوت الذي نَسْمَعُ؟

قال: «زَجْرُهُ لِلسحابِ حتى تَنتَهيَ حيثُ أُمِرَتْ».

قالوا: صَدقْتَ، فَأْخبِرنا عمَّا حَرَّمَ إسْرَائِيلُ عَلى نَفْسِهِ؟

قال: «اشْتكى عِرقَ النَّسا، فلم يَجِدْ شَيئا يُلائِمُهُ -يعني: العِرقَ- إلا لُحُومَ الإبِلِ، وألبَانَهَا، فلذلك حَرَّمَها».

قالوا: صَدَقْتَ...[2].

والنَّبِيّ في إجابته لهذه الأسئلة يقرر صحة نبوته، مقيمًا الحجة عليهم من أقولهم؛ فإنهم يعلمون أن هذه الأسئلة لا يعلم إجابتها إلا نبي.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة. (٣/ ٢٢٦)

(٢) أخرجه الترمذي وقال: قال هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي - (٣/ ٢٦١) (ح٣١١٧) وانظر السلسلة الصحيحة (١٨٧٢)(٤/ ٤٩١).

الحوار الخامس: سؤال عن الروح

نَصَبَتْ أَحْبَارُ يَهُودَ لِرَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْعَدَاوَةَ بَغْيًا وَحَسَدًا وَضَغْنًا؛ لِمَا خَصّ اللهُ تَعَالَى بِهِ الْعَرَبَ من اصطفاء رسوله منهم، وَكَانَتْ أَحْبَارُ يَهُودَ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَيَتَعَنّتُونَهُ وَيَأْتُونَهُ بِاللّبْسِ؛ لِيَلْبِسُوا الْحَقّ بِالْبَاطِلِ، فَكَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِيهِمْ فِيمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ"[(١)].

ومن تلك الأسئلة التي أتوا يسألون عنها متعنتين، السؤال عن الروح، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُود، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ تَسْأَلُوهُ، لاَ يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنَسْأَلَنَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ فَسكَتَ فَقُلْتُ إِنَّهُ يُوحى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[(٢)]" [(٣)] فلما نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [(٤)] قال الْيَهُود: أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا، أُوتِينَا التَّوْرَاةَ، وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا.فأنزل اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [(٥)]"[(٦)]. وفي إجَابةِ النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لأسئلةِ الْيَهُودِ إثباتٌ لنبوتهِ، وإزالة لما قد يطرأ على عقول بعض الناس من تشكيك في رسالته، لو لم يستطع إجابة الأسئلة التي يطرحها الْيَهُود عليهم، وقد كان النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حريصًا كل الحرص على إجابة ما سألوه عنه؛ رغبة في إيمانهم وهدايتهم.

---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام (١/ ٥١٣)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣ / ٣٨٤)ذ

(٢) الإسراء آية: (٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب قول الله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)(١/ ٢٧٠) (ح١٢٥)، مسلم في صحيحه باب سؤال الْيَهُود النَّبِيّ صلى اله عليه وسلم عن الروح (١٧/ ١٣٦).

(٤) الإسراء آية: (٨٥).

(٥) الكهف آية: (١٠٩).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس (٤/ ١٥٥) (ح٢٣٠٩)، والحاكم في المستدرك ، باب تفسير سورة القدر (٢/ ٥٣١)، وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، والترمذي وقال قال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الترمذي (٢٦٩/٣) (ح ٣١٤٠).

الحوار السادس: جدل في حكم الرجم

بدل الْيَهُود أحكام التَّوراة بأيديهم، ومن تلك الأحكام الأمر برجم من أحْصن منهم، فاصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم والإركاب على حمار مقلوبين، فلما وقعت تلك الحادثة بعد هجرة النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالوا فيما بينهم: تعالوا حتى نتحاكم إليه، فإنَّ حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه، واجعلوه حجة بينكم وبين الله، ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْيَهُود جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا؛ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ شَأْنِ الزِّنَا؟».

فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا لَلرَّجْمَ فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا فَجَعَلَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: ارْفَعْ يَدَكَ. فَرَفَعَهَا فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرُجِمَا. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ.(١)

فهذا حوار بين النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والْيَهُود حول حكم من أحكام الله تعالى، وهو رجم الزاني المحصن، وكان غرض النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من هذا الحوار إثبات حكم الله وإقامة الحجة على الْيَهُود من كتبهم على إثبات هذا الحكم، وأنهم كانوا ينسبون إلى التوراة ما ليس فيها.

وهذا الحديث أصل في مجادلة أَهْل الْكِتَابِ فيما خالفوا فيه شرائع الأنبياء، وما أخفوه من كتبهم مَعَ علمهم به.

(١) أخرجه الْبُخَارِيُّ فِي صحيحه، كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا (١٢/ ١٧٢) (ح ٦٨٤١). وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، كتاب الحدود، باب حد الزنا (١١/ ٢٠٩)

الحوار السابع: دعوة الْيَهُودِ إلى المُبَاهَلَةِ

عن ابن عباس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أن نفرا من الْيَهُود أتوا النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَكَلّمُوهُ وَكَلّمَهُمْ وَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلَى اللهِ وَحَذّرَهُمْ نِقْمَتَهُ فَقَالُوا: مَا تُخَوّفُنَا يَا مُحَمّدُ ، نَحْنُ وَاَللهِ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبّاؤُهُ كَقَوْلِ النَصَارَى فأنزل اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ الآية[1] ... [2]

فلمَّا ادَّعَى الْيَهُودُ أنَّ لهم فَضْلاً ومزية عند الله تعالى على سائر خَلْقِهِ أَمَرَ الله نَبِيَّهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنْ يَقُوْلَ لَهُمْ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: إنْ صَحَ مَا زَعَمْتُم فلأي شيءٍ يعذبكم يومَ القِيَامَةِ بالنَّار كما اعترفتم، أنه سيمسكم العذابُ أيامًا قليلةً، وهذا ينافي دعواكم القرب والمحبة من تعالى. وقل لهم يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: بل أنتم خلقٌ كسائر بني آدم ، مجزيون بالإساءة والإحسان، يغفر الله لمن يشاء منكم، وهم المؤمنون بالله ورسله، ويعذب من يشاء منكم، وهم الكافرون والجاحدون ، وهو مالك الملك، يُصَرّفه كما يشاء، وإليه المرجع، فيحكم بين عباده، ويجازي كلا بما يستحق.

وقد بنى الْيَهُود على ادعاء المحبة والقرب من الله أمرين: الأول: أن الله اختصهم بدخول الجنة، فلن يدخل الجنَّة إلا مَنْ كانَ على ملتهم، وذلك كما ادعت النَصَارَى أنَّه لن يدخلَ الجنةَ إلا مَنْ كَانَ على ملتهم. قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ ثم أمر الله نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بأن يطلب منهم دليلا على صحة هذه الدعوى ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3] أي هاتوا حجتكم على تلك الدعوة من دليل عقلي أو نقلي، وإلا فإنَّكم كاذبون متقولون على الله.

الثاني: أنَّهم ادَّعوا أنَّه لنْ يدخلوا النار إلا أيامًا قليلةً. عدد الأيام التي عبدوا فيها العجلَ

---

(١) المائدة آية: (١٨).

(٢) أخرجه ابن إسحاق بسند حسن وعنه الطبري في التفسير وفيه مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولى زيد بن ثابت وثقه الذهبي وقال ابن حجر مجهول انظر: ابن هشام: السيرة النبوية (١/ ٥٦٤) ، الطبري: تفسير القرآن (٨/ ٢٦٩).

(٣) البقرة آية: (١١١).

تكفيرًا عن عبادتهم له.

ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ قولَهم: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ وذلك كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾[1].

ثم أمر الله نبيه أنْ يردَ عليهم﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2] قل لهم يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: إنَّ قولَكم هَذا لا يَخْلُو مِنْ أَمْرَيْنِ لا ثَالثَ لهما إما اتخاذ وعد من الله أنه سيفعل بكم ذلك، فيكون الوعد متحققا؛ لأنَّ الله لا يخلف وعده، أو أنكم متقولون على الله مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ، وما دام قد ثبت عدم اتخاذ عهد فأنتم – يا معشر الْيَهُود – كاذبون فيما تدعون من أن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودة .

فلما ادعى الْيَهُود كل ذلك دعاهم النَّبِيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى المُبَاهَلَةِ، وهي الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من الْمُسْلِمِينَ بالموت. كما قال تعالى﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[3]

قل – أيها الرسول– لليهود الذين يدَّعون القرب والمحبة: إن كان الأمر كما تزعمون فادْعُوا على الكاذبين منكم أو من غيركم بالموت، إن كنتم صادقين في دعواكم هذه.

ثم أخبر الله الخبير عنهم أنَّهم لنْ يفعلوا ذلك أبدًا لعلمهم بكذبهم وافترائهم؛ لذلك فهم أشد الناس رغبة في الحياة، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ .

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ

(١) آل عمران آية: (٢٤).

(٢) البقرة آية: (٨٠) .

(٣) البقرة:٩٤ .

﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (١).

فلما نكلوا عن المُبَاهَلَةِ علم كلُ أحدٍ أَنَّهم ظالمون؛ لأنَّهم لو كانوا جازمين بما هم فيه، لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تأخروا عُلِم كذبهم. وهذا كما دعا رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وفد نَجْرَان من النَصَارَى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة، كما سبق بيان ذلك.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَال: َقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: لَوْ أَنَّ الْيَهُود تَمَنَّوُا الْمَوْتَ لَمَاتُوا، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَرَجَعُوا لاَ يَجِدُونَ أَهْلاً، وَلاَ مَالاً(٢).

لم يزد الْيَهُود كل هذا الجدل من النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لهم، وكل هذه الحجج التي أقامها عليهم إلا جحودًا وإنكارًا، هذا الذي جعلهم ينكرون نزول الوحي على النَّبِيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: « قالت الْيَهُود: يا مُحَمَّد أنزل الله عليك كتابًا.

قال: نعم. قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابا. فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ (٣)»(٤)، قال الله تعالى ردًّا عليهم:

﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ (٥).

والمعنى قل لهم يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ملزمًا لَهُم بفسادِ قَولِهم: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ

(١) الجمعة: ٦–٨.

(٢) أخرجه أحمد (٤/٩٨، ٩٩) (ح٢٢٢٥)، النسائي في الكبرى (٦/ ٣٠٨) (١١٠٦١)،. مسند أبي يعلى (٤/٤٧١) قال الهيثمي في مجمَعَ الزوائد، وقال رواه أحمد ، وأبو يعلى ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

(٣) الأنعام آية: (٩١).

(٤) أخرجه الطبري في التفسير (٩/٣٩٦)، وابن أبي حاتم (ص١٣٢٤) (٧٥٩٥)، وانظر، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير ياسين، (٢/ ٢٥٦).

(٥) الأنعام آية: (٩١).

﴿نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ يعني التوراة، ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾، أي: تكتبون عنه دفاتر تبدون بعضها وتخفون كثيرا منها، ولقد علمكم الله في هذا القرآن ما لم تعلموه أنتم ولا آباؤكم.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ هذا جواب قوله ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ فإنَّ أجابوك يا محمَّد وإلا فقل أنت ﴿اللَّهُ﴾، أي: قل أنزله الله، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون، حتى يأتيهم اليقين من الله.

الحوار الثامن: دعوة إلى الإسلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ»، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا إِلَى بَيْتِ الْمِدْرَاسِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا»، قَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «ذَلِكَ أُرِيدُ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا».

قَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «ذَلِكَ أُرِيدُ»، ثُمَّ قَالَهَا الثانية.

فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ،فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ شَيْئًا بِمَالِهِ فَلْيَبِعْهُ،وَإِلاَّ فَاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وِرَسُولِهِ».[1]

فهذا حوار بين الرسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وبين يهود يدعوهم فيه إلى الاستجابة لأمر الله وإسلام الوجه له. وهو يدل على واجب الْمُسْلِمِينَ تجاه أَهْل الْكِتَابِ، وما ينبغي أن يحاوروهم فيه ويجادلوهم عليه، وهو دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى، وإخلاص العبادة له، والتبرؤ من كل ما يعبد من دونه –عَزَّ وَجَلَّ– واتباع نبيه فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر.

لم يدخر النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وسعًا في دعوةِ الْيَهُودِ إلى الاستجابةِ للحقِ والإقلاعِ عنِ الباطلِ، كما تركَ لهم النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حرية العبادة، ولم يجبرهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج الْيَهُود من جزيرة العرب (٦/ ٣١٢) (ح ٣١٦٧)، مسلم مسلم في الجهاد والسير باب إجلاء الْيَهُود من الحجاز (١٢/ ٩٠) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة (١٥/ ٥١٢) (ح ٩٨٢٦).

على الدخول في الإسلام، وعاهدهم على ذلك، غير أنَّ الْيَهُودَ استغلوا تلك الرحمة والرأفة التي عاملهم بها نَبِيّ الرَّحْمَةِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في إثارة الفتن بين الْمُسْلِمِينَ، والتعاون مَعَ أعداء الدعوة الْإِسْلَامِيَّة،كلما سنحت لهم الفرصة بذلك، فضلا عن ذلك فقد حاولوا أكثرَ من مرةٍ قتلَ النَّبِيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما حاربوا رَسُولَ اللهِ ونَقَضُوا العَهْدَ وظَاهَرُوا أعداءَ الدَّعْوَةِ على قِتَالِه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قرر أن يُطَهِرَ بِلادَهُ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الذِي لا يَصْلُحُ مَعَهُ دَواء إلا الاستئصال، وقد أنذرهم النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وبلغهم الدعوة، وجَادَلَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وأقامَ عَلَيْهم الحجةَ مِنْ كُتُبِهِم على صحةِ نبوته، وأجابَ لَهُم عمَّا سَألوهُ عَنْه ممَّا لا يَعْلَمُهُ إلا نَبِيٌّ، غير أنَّهم أبوا إلا الجحود والإنكار، فأبلغهم النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في هذا الحديث النبوي الشريف أنَّ حكمَ الأرضِ ومُلكَها للهِ، وأنَّه تعالى حكم فيهم بحكمه وأمر رسولَه بإخراجِهِم من جزيرة العرب.

لقد كان توحيد الجبهةِ الداخليةِ للدولةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الفتيةِ، والقضاءِ على أعدائها المتربصينَ بِهَا مِنْ داخلها مِن أوجبِ الواجباتِ في تلك المرحلةِ من مراحلِ الدعوةِ الْإِسْلَامِيَّةِ خاصة مَعَ حروب الدولةِ الناشئةِ التي تنتظرُها مَعَ الفرسِ والروم.

المبحث الثاني: حوارات النَصَارَى

كان الرهبان من النَصَارَى يعلمونَ باقترابِ مبعثِ النَّبِيّ الخاتم للبشرية، وأنَّ الزمانَ الذي يعيشونَ فيهَ هو موعدُ مبعث هذا المنتظر، ويعرفون مما ورد في كتبهم صفته ونعته كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[1].

ولما أرسل النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رسالة إلى هرقل ملك الروم قال بعد أن قرأها: «وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ»[2].

ولقد أخبر سلمان الفارسي في قصة إسلامه الطويلة أنَّ راهبَ النَصَارَى في عمورية عندما حضرته الوفاة طلبَ منه سلمان أن يوصيه، فقال الراهب: «أَيْ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ ما أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ بِهِ عَلامَاتٌ لاَ تَخْفَى، يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلاَ يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلادِ، فَافْعَلْ»[3].

جدير بالذكر أن المتتبع لحوارات النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع النَصَارَى، لا يجد إلا قليلًا مِنَ الحِوَارَاتِ بالنسبة لحوارات الْيَهُود، فقد اتصل النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالْيَهُود اتصالًا مباشرة بحكم استوطانهم للمدينة المنورة التي هاجر إليها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أما النَصَارَى فلم يكن لهم وجود يذكر بمكة ولا بالمدينة، الأمر الذي أدى إلى قلة الحوارات المباشرة مَعَ النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(١) البقرة آية: (١٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه مَعَ الفتح لابن حجر، كتاب بدء الوحي (١/ ٤٤) (ح٧)، مسلم، كتاب الجهاد والسير باب كتب النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (١٢/ ١٠٣)..

(٣) أخرجه أحمد في مسنده بسند حسن من طريق ابن إسحاق، وهو صدوق مدلس، وقد صرح فيه بالتحديث، وبقية رجاله ثقات (٣٩/ ١٤٠) (ح ٢٣٧٣٧).

الحوار الأول: بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب

لَمّا رَأَى رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنْ الْبَلَاءِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ الْعَافِيَةِ بِمَكَانِهِ مِنْ اللهِ وَمِنْ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمّا هُمْ فِيهِ مِنْ الْبَلَاءِ قَالَ لَهُمْ: لَوْ خَرَجْتُمْ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فإنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ وَفِرَارًا إلَى اللهِ بِدِينِهِمْ فَكَانَتْ أَوّلَ هِجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ[1].

ولما علمت قريشٌ باستقرار الْمُسْلِمِينَ في الحبشةِ وأمانهم فيها ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا إلَى النّجَاشِيّ عَبْدَ اللهِ بْن أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرو بْنِ الْعَاصِ في طَلَبِهم، ومعهم الهدايا للنجاشي وبطارقته.

فلما كَلّمَا النجاشي أبى أن يسلمهم إليهما حتى يسمَعَ منهم، ثُمّ أَرْسَلَ إلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَدَعَاهُمْ فَلَمّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا.

ثُمّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرّجُلِ إذَا جِئْتُمُوهُ؟

قَالُوا: نَقُول: وَاَللهِ مَا عَلِمْنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيّنَا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمّا جَاءُوا، وَقَدْ دَعَا النّجَاشِيَّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذَا الدّينُ الّذِي قَدْ فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا بِهِ فِي دِينِي، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْمِلَلِ؟

فَكَانَ الّذِي كَلّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ –رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ: أَيّهَا الْمَلِكُ كُنّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيّ مِنّا الضّعِيفَ، فَكُنّا عَلَى ذَلِكَ حَتّى بَعَثَ اللهُ إلَيْنَا رَسُولًا مِنّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إلَى اللهِ لِنُوَحّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ،

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٢١، ٣٢٢).، وانظر: الفصول في السيرة لابن كثير (٩٩، ١٠٠).

وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصّلَاةِ وَالزّكَاةِ وَالصّيَامِ –قَالَتْ فَعَدّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ– فَصَدّقْنَاهُ وَآمَنّا بِهِ وَاتّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ اللهِ فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرّمْنَا مَا حَرّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا، لِيَرُدّونَا إلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنْ نَسْتَحِلّ مَا كُنّا نَسْتَحِلّ مِنْ الْخَبَائِثِ فَلَمّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيّقُوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إلَى بِلَادِك، وَاخْتَرْنَاك عَلَى مَنْ سِوَاك؛ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِك ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَك أَيّهَا الْمَلِكُ.

فَقَالَ لَهُ النّجَاشِيّ: هَلْ مَعَك مِمّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟

فَقَالَ لَهُ: جَعْفَرٌ نَعَمْ.

فَقَالَ لَهُ النّجَاشِيّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيّ؟

فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فَبَكَى وَاَللهِ النّجَاشِيّ حَتّى اخْضَلّتْ لِحْيَتُهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتّى أَخْضَلّوا مَصَاحِفَهُمْ حِين سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ.

ثُمّ قَالَ لَهُمْ النّجَاشِيّ: إنّ هَذَا وَالّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ انْطَلِقَا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدًا؟ ولا أكاد.

فَلَمّا أخفقت محاولة وفد قريش في ردهم قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاَللهِ لَآتِيَنّهُ غَدًا عَنْهُمْ بِمَا أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ .... وَاَللهِ لَأُخْبِرَنّهُ أَنّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ . ثُمّ غَدًا عَلَيْهِ مِنْ الْغَدِ.

فَقَالَ لَهُ: أَيّهَا الْمَلِكُ إنّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا.

فَأَرْسِلْ إلَيْهِمْ فَسَلْهُمْ عَمّا يَقُولُونَ فِيهِ، فَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْهُ.

قَالَتْ أمُ سلمة —وهي تروي القصة– وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا قَطّ.

فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ ثُمّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟

قَالُوا: نَقُولُ وَاَللهِ مَا قَالَ اللهُ وَمَا جَاءَنَا بِهِ نَبِيّنَا، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟

فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيّنَا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.

قَالَتْ: فَضَرَبَ النّجَاشِيّ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمّ قَالَ وَاللهِ مَا عَدَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ.

فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ اذْهَبُوا فأنتم شُيُومٌ بِأَرْضِي –وَالشّيُومُ الْآمِنُونَ– مَنْ سَبّكُمْ غَرِمَ، ثُمّ قَالَ: مَنْ سَبّكُمْ غَرِم، مَنْ سَبّكُمْ غَرِمَ، مَا أُحِبّ أَنّ لِي دَبَرًا مِنْ ذَهَبٍ وَأَنّي آذَيْت رَجُلًا مِنْكُمْ رُدّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنّي الرّشْوَةَ حِينَ رَدّ عَلَيّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النّاسَ فِيّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ، قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ.(١)

لما خرج المسلمون إلى الحبشة خوفًا من الفتنة في دينهم بسبب إيذاء قومهم لهم، ورغبة في إقامة دينهم؛ أرسلت قريش عَبْدِ اللهِ بْن أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رغبة في ردهم فكان هذا الحوار بين النجاشي وعمرو بن العاص من جهة، وبين النجاشي والْمُسْلِمِينَ وخطيبهم جعفر بن أبي طالب.

هذا الحوار يدل على ثبات المبدأ، والإخلاص في المعتقد عند المحاورين الْمُسْلِمِينَ، هذا الثبات الذي لا يغيره موقف، فعلى الرغم من ضعفهم المادي وحاجتهم إلى ملك الحبشة، وما يمكن أن يترتب على غضبه عليهم، وإغضاب من حوله من القساوسة من إرجاعهم إلى قومهم وفتنتهم، لكنهم لم يخافوا، ولم يرهبوا، ولم يداهنوا في الحق، الذي تحملوه، فجهروا بكلمة الحق، وتحملوا تبعاتها، فكانت النتيجة اقتناع الطرف الآخر، وهو النجاشي بدينهم، ففازوا من ناحيتين:

الأولى: بإبلاغ دعوتهم للنجاشي، ووقوفه على صدق دعوة النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ثم دخوله في الإسلام، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه أسلم، وأنه لما مات

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند مسند جعفر ابن أبي طالب(٣/ ٢٦٣) (ح ١٧٤٠) عن أم سلمة من طريق مُحَمَّد ابن إسحاق، وإسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير مُحَمَّد ابن إسحاق صدق إلا أنه مدلس وقد صرح بالسماع. أخرجه ابن هشام في السيرة (١ / ٣٣٤– ٣٣٧)، وانظر الألباني السلسلة الصحيحة (٥٧٧/٧)(ح ٣١٩٠)..

صلى عليه النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه، وطلب منهم أن يستغفروا له.[1]

والثانية: بضمان معيشة آمنة في أرضه، كما قالت أم سلمة: «وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ» فقد عاش المسلمون في كنفه معززين مكرمين، آمنين على أنفسهم ودينهم حتى هاجروا إلى النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد غزوة خيبر.[2]

والجدير بالذكر في هذا الحوار: توفيق الْمُسْلِمِينَ في اختيار المحاور المناسب الذي يستطيع عرض قضية الإسلام بعزة، وإن كان في ذلك هلاكه.

فجعفر بن أبي طالب في الذؤابة من بني هاشم، والله تعالى قد اختار هاشمًا من كنانة، واختار نبيه من بني هاشم، فهم أفصح الناس لسانًا وأوسطهم نسبًا. وهو ابن عم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهذا يجعل النجاشي أكثر اطمئنانًا، وثقة بما يعرض عن ابن عمه، وقد تجلى أثر حسن اختيار المحاور في رد جعفر على أسئلة النجاشي، وإبطال حجج المخالف الذي أراد الإضرار بهم واستجلاب غضب الملك عليهم فمثل بذلك قمة المهارة السياسية، والإعلامية والدعوية، والعقدية، فقام بالتالي:

* عدَّد عيوب الجاهلية، وعرضها بصورة تنفر السامع، وقصَدَ بذلك تشويه صورة قريش في عين الملك، وركز على الصفات الذميمة التي لا تنتزع إلا بنبوة.

* عرض شخصية الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا المجتمَعَ الآسن المليء بالرذائل، وكيف كان بعيدًا عن النقائص كلها، ومعروفًا بنسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فهو المؤهل للرسالة.

* أبرز جعفر محاسن الإسلام وأخلاقه التي تتفق مَعَ أخلاقيات دعوة الأنبياء، كنبذ عبادة الأوثان، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكون النجاشي وبطارقته موغلين في النصرانية فهم يدركون أن هذه رسالات الأنبياء، التي بعثوا بها من لدن موسى، وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

(١) أخرجه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي (٧/ ٢٣٠) (ح٣٨٧٧-٣٨٨١)، مسلم، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة (٢١/٧).

(٢) حول إسلام النجاشي ودوره في الدعوة، انظر: د سامية عبد العزيز منيسي، إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الْإِسْلَامِيَّة..

* فضح ما فعلته قريش بهم؛ لأنهم رفضوا عبادة الأوثان، وآمنوا بما نزل على مُحَمَّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتخلقوا بخلقه.

* أحسن الثناء على النجاشي بما هو أهله، بأنه لا يُظلم عنده أحد، وأنه يقيم العدل في قومه.

* وأوضح أنهم اختاروه من دون الناس، فرارًا من ظلم هؤلاء الذين يريدون تعذيبهم؛ وبهذه الخطوات البينة الواضحة دحر بلاغة عمرو وفصاحته، واستأثر بلب النجاشي وعقله، وكذلك استأثر بلب وعقل البطارقة، والقسيسين الحاضرين.

* وعندما طلب الملك النجاشي شيئًا مما نزل على مُحَمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -جاء صدر سورة مريم في غاية الإحكام والروعة والتأثير، حتى بكى النجاشي، وأساقفته، وبللوا لحاهم ومصاحفهم من الدموع، واختيار جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لسورة مريم، يظهر بوضوح حكمة وذكاء مندوب المهاجرين، - رسول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والمبلغ عنه، فسورة مريم تتحدث عن مريم وعيسى عليهما السلام.

* كان رده في قضية عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- دليلاً على الحكمة والذكاء النادر، فرد بأنهم لا يألهون عيسى ابن مريم، ولكنهم كذلك لا يخوضون في عرض مريم -عليها السلام- ، كما يخوض الكاذبون، بل عيسى ابن مريم كلمته وروحه ألقاها إلى مريم البتول العذراء الطاهرة، وليس عند النجاشي زيادة عما قال جعفر، ولا مقدار هذا العود.

* انتهى الأمر بأن أعلن النجاشي صدق القوم، وأيقن بأن هؤلاء صديقون، وعزم على أن يكون في خدمة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الذي يأتيه الناموس كناموس موسى، وأن يتقرب إلى الله بحماية أصحابه، وأكد لعمرو أنه لا يضيره تجارة قريش، ولا مال قريش، ولا جاهها، ولو قطعت علاقتها معه.

كان موقف جعفر وإخوانه مثالاً تطبيقيًا لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»[1] فهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم قد التمسوا رضا الله -عَزَّ وَجَلَّ-، مَعَ

(١) أخرجه الترمذي في سننه بسند صحيحه كما في صحيح الترمذي للألباني (٥٧٠/٣) (ح ٢٤١٤) وخرجه وصححه =

أن الظاهر في الأمر أنه يترتب عليه في هذه القضية سخط أولئك النَصَارَى وهم الذين لهم الهيمنة عليهم، فكانت النتيجة أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- سخر لهم ملك الحبشة حتى نطق بالحق الموافق لدعوة النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مَعَ مخالفته الصريحة لمعتقدهم المنحرف، الذي قام عليه ملكهم، وما يغلب على الظن من ثورة النَصَارَى المتعصبين عليه[1].

إن هذا الحوار الإسلامي النصراني لهو نموذج فريد للحوار الإسلامي مع الآخر المغاير لهم، حوار يتمسك المسلمون بدينهم ويعتزن بعقيدتهم مهما كان ما يملكه الطرف الآخر من مقومات الحياة ومهما كانت حاجة المسلمون إليه، ثم هو نموذج فريد أيضا لما ينبغي أن يكون عليه المحاور المسلم من علم بالإسلام وعلم بمعتقدات الآخر، وتحييد المناظر والمستمعين له إن لم ينجح في اكتسابه في صف المسلمين.

الحوار الثاني: دعوة إلى نبذ الشرك

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ.

فَقَالَ يَا عَدِيُّ: أَلْقِ هَذَا الْوَثَنَ من عنقك وانتهيت إليه وهو يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [2].

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لم نتخذهم أربابًا.

قال: بلى.

قال: أليس يُحِلُّونَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عليكم فَتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لكم فتحرمونه؟».

فقلت: بلى.

=

الألباني في الصحيحه (٥/ ٣٩٢) (ح ٢٣١١). وفي صحيح الجامع (١/١٠٥٢) (ح ٦٠٩٧)،

(١) انظر: د.علي مُحَمَّد مُحَمَّد الصلابي: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (١/٢٦٠- ٢٦٣) نسخة من الكتاب من إهداء المؤلف على موقع الشبكة الليبية .libya-web.net -

(٢) التوبة: ٣١.

فقال: تلك عبادتهم[١].

ففي هذا الحوار أنكر النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على محاوره عدي ابن حاتم ما تلبث به من شرك، وهو تعليقه هذا الصليب. ثم بين له أن مطلق الطاعة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، كما بين له أن طاعة الأحبار والرهبان في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله من الشرك بالله[٢].

الحوار الثالث: رسائل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء

أرسل الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد صلح الحديبية رسائل إلى الملوك والرؤساء تبين لنا طبيعة العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب، وواجب المسلمين نحوهم، وطبيعة الحوار الذي يمكن أن يدور بين الطرفين.

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، ثم أورد البخاري نص الكتاب، وهو «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ؛ فإِنِّ أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإِنَّ تَوَلَّيْتَ فإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ وَ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾» [٣].

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-

(١) أخرجه الطبري في التفسير(١١/ ٤١٨)، وابن أبي حاتم في التفسير(ص ١٧٨٤) (ح ١٠٠٥٧) ، وبنحوه الترمذي في السنن وحسنه الألباني. كما في صحيح الترمذي (ح٣٠٩٥)(٣/ ٢٤٧)، وفي السلسلة الصحيحة (ح ٣٢٩٣).

(٢) وليتأمل العاقل اللبيب موقف النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من إنكاره لعدي بن حاتم تعليقه الصليب في رقبته، وموقف أولئك الذين يجالسون من يفعل هذا الفعل، ويآكلونه ويشاربونه ويدعون لموالاته والتقارب معه، ولا ينطقون ببنت شفاه ينكرون بها هذا الشرك، بل على العكس من ذلك يدخلون معابد أهل الكتاب وكنائسهم، يثبتون لأهل تلك الصلبان إيمانا بالله ونسبة لدين إبراهيم عليه السلام، يستجدون منهم رضا واعترافا، والأدهى من ذلك إقامة صلوات مشتركة معهم كما حدث ذلك في بعض المؤتمرات.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه مَعَ الفتح لابن حجر، كتاب بدء الوحي (١/ ٤٤) (ح٧)، مسلم، كتاب الجهاد والسير باب كتب النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (١٢/ ١٠٣).

كَتَبَ قَبْلَ مَوْتِهِ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ[1].

وذكر الطبري في تاريخه بسند حسن نص الكتاب الذي أرسله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فيه بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلى الناس كافة؛ لينذر من كان حيا، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس[2].

فهذه الكتب التي أرسلها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى الملوك والرؤساء وإن لم تكن حوارًا مباشرًا فهي حوار مكتوب، تدل على أنَّ أساس الحوارِ مَعَ أَهْل الْكِتَابِ هو الدَّعوةُ إلى دين الإسلام.

لم يدع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو رئيس الدولة الفتية- تلك القوى العظمى في ذلك الزمان إلى التعايش السلمي وإرساء القيم المشتركة، أو التعاون من أجل صلاح البشرية، وإنما اقتصرت جميع كتابه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى الملوك والرؤساء على أمر واحد اختزله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلمتين: «أسلم تسلم».

هكذا يخاطب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أعظم الدول في عصره بعزة المسلم، داعيا إلى الله نصرة لدين الله -عَزَّ وَجَلَّ، فاستحق -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بذلك نصر الله -عَزَّ وَجَلَّ-، هذا الأمر الذي تخلف لدى المسلمين؛ لتفريطهم في الدعوة لدين الله ونصرته خوفًا وجبنًا، وإيثار للفانية على الباقية، ولو عقل مسلمو اليوم لعلموا أن في الدعوة لدين الله عَزَّ وَجَلَّ خيري الدنيا والآخرة، وما نالهم من الذل والخزي إلا بتفريطهم في الاستجابة لأمر الله والدعوة لدينه.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٢/ ١١٢).

(٢) تاريخ الطبري (٢ / ١٣٢)، وصححه الألباني كما في تعليقه على فقه السيرة للغزالي(ص ٣٥٦)

الحوار الرابع: حوار من القرآن

ذكر القُرْآنُ الْكَرِيْمُ طرفًا من حوارات النَصَارَى مَعَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فذكر أقوالهم، وما رد به النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليهم بأمرٍ من ربه؛ حيث يقوم رد القرآن عليهم على عدم قبول دعواهم. وطلب الحجة عليها.

ادَّعَى النَّصَارَى كماَ ادَّعَتِ الْيَهُودُ أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَ مَنْ كَانَ عَلَى مِلَتِهِمْ.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾.(١)

فَرَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ قَائِلاً: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ (٢) تِلْكَ أَشْيَاءُ يَتَمَنَّوْنَهَا عَلَى اللهِ بِغَيرِ وَجْهِ حَقٍّ، وَلَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ وَلاَ حُجَّةٌ عَلَيهاَ .

﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٣)

قل لهم يا أيها النَّبِيّ:

إِنْ كَانَ لِدَعْوَاكُمْ هذِهِ أَسَاسٌ فأتُوا بِبُرْهَانٍ عَلَيها، فنسلم لكم دعواكم، وإلا فأنتم كَاذِبُونَ مُتَخَرِّصُونَ. وذلك كما أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُم في سورة المائدة أنَّهم قالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ (٤). فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ (٥)

ثم يأمر الله تعالى نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن يؤكد بطلان دعواهم أن دخول الجنة مقتصر على اليهود والنصارى بقوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .(٦)

والمعنى بَلَى سَيَدْخُلُ الجَنَّةَ الذين أسلموا لله، وانقادوا لأَمْرِهِ مُطِيعِينَ مُخْلِصِين، فمن فعل ذلك فله ثواب عمله عند ربه في الآخرة، وهو دخول الجَنَّةَ، وَيُذْهِبُ عَنْهُمُ الخَوْفَ وَالحَزَنَ

(١) البقرة آية: (١١١).
(٢) البقرة آية: (١١١).
(٣) البقرة آية: (١١١).
(٤) المائدة: ١٨.
(٥) المائدة: ١٨.
(٦) البقرة آية: (١١٢).

يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنَ أَمْرِ الآخرة ، وَلاَ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تركوه من أمر الدنيا.

لَقَدْ بَدَأَتْ مُحَاوَلاتِ أَهْلِ الكِتَابِ لِرَدِ الْمُسْلِمِينَ عَن دِيْنِهِم فِي وَقْتٍ مُبَكِرٍ مُنْذُ العَهْدِ النَّبَوي؛ حَيْثُ يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى طَلَبَ الْيَهُودِ مِنَ النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنْ يَكُونَ وَأَصْحَابَه يَهُوْدًا، وَطَلَبَ النَّصَارَى أنْ يَكُوْنَ وأصحابه نَصَارَى، فذكر الله عَزَّ وَجَلَّ عنهم قولهم ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾.(١)

فَقَالَ لِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (٢).

قُلْ لَهُمْ: إِنَّا لاَ نُتَّبِعَ مِلَّةَ الْيَهُود، وَلا مِلَّةَ النَّصَارَى، لما وقع فيهما مِن تحريف وتبديل، بَعُد بهما عَنْ مِلَةِ إبراهِيمَ، وَلكِنّنا نَتَّبِعُ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ التِي لاَ انْحِرافَ فِيهَا وَلا زَيْغَ، ولَمْ يَكُنْ مِنَ المشْرِكِينَ.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

قُلْ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ المؤْمِنِينَ لِهؤُلاءِ وَهؤُلاءِ: إنّنا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَى جَمِيعِ الأنبياءِ وَالمرْسَلِينَ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ لِرَبّنا.

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ (٤).

قُلْ يَا مُحَمَّدُ لأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَتُنَاظِرُونَنَا فِي تَوْحِيْدِ اللهِ وَالإخْلاصِ لَهُ وَهُوَ المتَصَرِفُ فِيْنَا وَفِيْكُم، الْمُسْتَحِقُ لإخْلاصِ الأُلُوهِيةِ لَهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ!

﴿ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ أي: نَحْنُ بُرآء منكم، وأنتم بُرَآء منا، ونحن له مخلصون،

(١) البقرة آية: (١٣٥).
(٢) البقرة آية: (١٣٥).
(٣) البقرة آية: (١٣٦) .
(٤) البقرة آية: (١٣٩).

في عبادتنا وتوجهنا.

لقد ادَّعَى أَهْلُ الكتابِ أنَّهُم على ملةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا بَزْعُم اليهود، أو نَصْرَانِيًّا بِزَعْمِ النصارى، وأنَّ قُرْبَهُم مِنَ اللهِ بِسَبَبِ تلكَ النِّسْبَةِ إلى دِينِ إبْرَاهيمَ فَقَالَ اللهُ تعالى رَدًا عَلَيْهم: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

قل لهم يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: أَتَقُولُونَ إِنَّ قُرْبَكُمْ مِنَ اللهِ أَكْثَرُ مِنَّا، كَانَ بِسَبَبِ امْتِيازِكُمْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وتزعمون نسبتها إلى أَنْبياءُ اللهِ ، فإنَّهم قد بعثوا وماتوا قبل نزول التُّوراة والإنجيل ، فَكَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّ هؤُلاءِ الأنبياءَ كَانُوا يَهُوداً أَوْ نَصَارَى، وقد سَبَقُوا مُوسَى وَعِيسَى بوَقْتٍ كبير.

﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾(٢) قُل لهم يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: أَأَنْتُم أَعْلَمُ بِهِم وَبِمَا كانوا عليه من الأديان، أم الله؟

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وأيُّ امرئ أظلم منهم؟ وقد كتموا شهادةً عندهم من الله بأنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوبَ والأسباطَ كانوا مسلمين، فكتموا ذلك، ونحلُوهم الْيَهُودية والنصرانية.

وفي آيات أخرى من سورة آل عمران أكد الله هذا المعنى ورد محاجتهم في إبراهيم، وادعائهم النسبة إليه فقال: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣).

قل لهم يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

(١) البقرة آية: (١٤٠).
(٢) البقرة آية: (١٤٠).
(٣) آل عمران آية: (٦٥) .
(٤) آل عمران آية: (٦٦).

لَقَدْ جَادَلْتُمْ وَحَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، فَلِمَاذَا تُحَاجُّونَ فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهِيم فتنسبونه إلى اليهودية أو النصرانية، وَاللهُ يَعْلَمُ حقيقة أمْرِ إبراهِيمَ، وَأَنْتُمْ لاَ علم لكم بذلكَ.

ثم يبين الله لهم حقيقة إبراهيم بقوله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١).

قل لهم يا مُحَمَّد ما كان إبراهيم يهوديا كما قالت الْيَهُود ولا نصرانيا كما قالت النَّصَارَى، ولكن كان حنيفًا مسلمًا مستقيمًا مائلا عن الباطل منقادا للحق. وإن أحق الناس به من اتبعوه على ملته وهم هذا النَّبِيّ وأتباعه كما قال عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وفي موضع آخر من سورة آل عمران يأمر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أن ينهي الجدل مع من عاند من أهل الكتاب بعد قيام الحجة عليه بقوله: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٣).

فإنَّ جَادَلَكَ أَهْل الْكِتَابِ أوْ غَيْرُهُمْ يَا مُحَمَّدُ فِي التَّوْحِيد، بَعْدَما بينت لهم الحق وأقمتَ البَرَاهِينَ عليه؛ فأعلن إسلامك لله وإخلاصك للعبادة له أنت ومن معك؛ ليسلك طريقك من أراد الهداية منهم.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٤)، وقُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لأَهْل الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُود والنَصَارَى وَللأمّيينَ من مُشْرِكِي العَرَبِ: أأَسْلَمْتُمْ وَآمنْتُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيّهِ؟؟ فإنَّ أسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا إلى الخَيْرِ وَالرَّشَادِ، وَإنْ رَفَضُوا الدُّخُولَ فِي الإسْلاَمِ، وَآثَرُوا البَقَاءَ عَلَى مَا هُمْ عَليهِ، فأنْتَ مُكَلَّفٌ

(١) آل عمران آية: (٦٧).
(٢) آل عمران آية: (٦٨).
(٣) آل عمران آية: (٢٠).
(٤) آل عمران آية: (٢٠).

بِبَلاغِهِمْ والله بصير بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ رَسُوْلَهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنْ يُبَاهِلَ مَنْ عَانَدَ الحق في أَمْرِ عِيْسَى بَعْدَ ظُهُوْرِ الحَقِ ورَفْضِهِ الإذْعَان لَهُ فيقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ (١).

فَمَنْ جَادَلَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الْحَقِ بَعَدَمَا تبين فقل لهم: تعالوا نُحْضِر أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نتجه إلى الله بالدعاء أن يُنزل عقوبته ولعنته على الكاذبين في قولهم، المصرّين على عنادهم، وَهَذا الطَّلَبُ يَدُلّ عَلَى قُوَّةِ يقِينِ صَاحِبِهِ، وَثِقَتِهِ بِمَا يَقُولُ.

ثم يأمر الله نبيه أن يدعوهم إلى كلمة صدق وعدل، كلمة فصل ليس فيها ميل لأحد فيقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٢).

كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينهى أَهْلَ الْكِتَابِ عن الغلو في دينهم، واتباع أحبارهم ورهبانهم الذين ضلوا وأضلوا غيرهم، فقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (٣).

وذلك كما قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ

(١) آل عمران آية: (٦١).

(٢) آل عمران آية: (٦٤).

(٣) المائدة آية: (٧٧).

وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١).

والمعنى: قُلْ يَا مُحَمَّد لأولئكَ النَّصَارَى: لا تَتَجَاوزوا الحَدَ في أَمْرِ عِيْسَى، حتى ترفعوه فوقَ المَنْزِلةِ التي أَعْطَاه اللهُ إيَّاهَا، فتنقلوه من حيز النبوةِ إلى أنْ تتخذوه إلهًا تعبدونه مِن دون الله، واعلموا أنَّ اللهَ إلهٌ واحدٌ، مالكُ كلِ شيءٍ، ولا يحتاج إلى شيء، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ وكفى بالله وكيلا على تدبير خلقه وتصريف ملكه.

الحوار الخامس: دعوة إلى المُبَاهَلَةِ

لما انتشر الإسلام وذاع خبر النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بما أرسله من بعوث وسرايا، ومن كتب ورسل إلى الملوك والرؤساء جاءت الوفود إلى النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لمبايعته على الإسلام أو لمهادنته ودفع الجزية، ومن تلك الوفود التي أتت إلى النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفد نَصَارَى نَجْرَان.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: "وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَان، سِتّونَ رَاكِبًا، فِيهِمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فِي الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ إِلَيْهِمْ يَئُولُ أَمْرُهُمْ.

فَكَلّمَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْهُمْ أَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَلْقَمَةَ، وَالْعَاقِبُ عَبْدُ الْمَسيحِ وَالْأَيْهَمُ السّيّدُ - وَهُمْ مِنْ النّصْرَانِيّةِ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ مَعَ اخْتِلَافِ مَنْ أَمَرَهُمْ يَقُولُونَ هُوَ اللهُ، وَيَقُولُونَ هُوَ وَلَدُ اللهِ، وَيَقُولُونَ هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ النّصْرَانِيّةِ....

فَلَمّا كَلّمَهُ الْحَبْرَانِ، قَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَسْلِمَا، قَالَا: قَدْ أَسْلَمْنَا قَالَ إِنّكُمَا لَمْ تُسْلِمَا فَأَسْلِمَا، قَالَا: بَلَى، قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَك. قَالَ كَذَبْتُمَا، يَمْنَعُكُمَا مِنْ الْإِسْلَامِ دُعَاؤُكُمَا لِلهِ وَلَدًا، وَعِبَادَتُكُمَا الصّلِيبَ وَأَكْلُكُمَا الْخِنْزِيرَ، قَالَا: فَمَنْ أَبُوهُ يَا مُحَمّدُ؟ فَصَمَتَ عَنْهُمَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمْ يُجِبْهُمَا.

فأنزل اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَاخْتِلَافِ أَمْرِهِمْ كُلّهِ صَدْرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ إِلَى بِضْعٍ وَثَمَانِينَ آيَةً مِنْهَا.

وذكر ابن إسحاق أنَّ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمَا دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ قالوا:

(١) النساء آية: (١٧١).

أَتُرِيدُ مِنّا يَا مُحَمّدُ أَنْ نَعْبُدَك كَمَا تَعْبُدُ النَصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَعَاذَ اللهِ أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ أَوْ آمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، فَمَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي اللهُ وَلَا أَمَرَنِي؛ أَوْ كَمَا قَالَ، فأنزل اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا: ﴿مَاكَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَعْدَإِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

فَلَمّا أَتَى رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْخَبَرُ مِنْ اللهِ عَنْهُ وَالْفَصْلُ مِنْ الْقَضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَأَمَرَ بِمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ مُلَاعَنَتِهِمْ إنْ رَدّوا ذَلِكَ عَلَيْهِ دَعَاهُمْ إلَى ذَلِكَ، فَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ دَعْنَا نَنْظُرْ فِي أَمْرِنَا، ثُمّ نَأْتِيك بِمَا نُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتنَا إلَيْهِ، فانصرفوا عَنْهُ ثُمّ خَلَوْا بِالْعَاقِبِ وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ، فَقَالُوا: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ مَاذَا تَرَى؟ فَقَالَ وَاَللهِ يَا مَعْشَرَ النَصَارَى لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنّ مُحَمّدًا لَنَبِيّ مُرْسَلٌ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ خَبَرِ صَاحِبِكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَاعَنَ قَوْمٌ نَبِيّا قَطّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ وَلَا نَبَتَ صَغِيرُهُمْ، وَإِنّهُ لَلِاسْتِئْصَالُ مِنْكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَبَيْتُمْ إلّا إلْفَ دِينِكُمْ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ، فَوَادِعُوا الرّجُلَ ثُمّ انْصَرِفُوا إلَى بِلَادِكُمْ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ رَأَيْنَا أَلّا نُلَاعِنَك، وَأَنْ نَتْرُكَك عَلَى دِينِك وَنَرْجِعَ عَلَى دِينِنَا، وَلَكِنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِك تَرْضَاهُ لَنَا، يَحْكُمْ بَيْنَنَا فِي أَشْيَاءَ اخْتَلَفْنَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فإنَّكُمْ عِنْدَنَا رِضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ائْتُونِي الْعَشِيّةَ أَبْعَثْ مَعَكُمْ الْقَوِيّ الْأَمِينَ، ثم أرسل معهم النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرّاحِ[1].

(١) ذكر ابن إسحاق قصة وفد نَجْرَان مطولة كما في سيرة ابن هشام بعضها معلق بدون إسناد وبعضها بسند منقطع وبعضها بسند متصل ضعيف، وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن مُحَمَّد بن جعفر بن الزبير وهو ثقة ممن عاصروا صغار التابعين فهي ضعيفة لانقطاع الإسناد، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٢٦٣ وما بعدها) من رواية البيهقي في دلائل النبوة ومن رواية بن إسحاق وذكرها بن الأثير في أسد الغابة من رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بسند ضعيف. (ترجمة كوز بن علقمة رقم (٤٥١٠) (٤/ ٤٧٥) وبالجملة فلم أقف على سند صحيح لرواية قصة وفد نَجْرَان ومجادلتهم للنبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– المطولة، لكن مما لا شك فيه أن نَصَارَى نَجْرَان قد أتوا إلى النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وجادلهم في عقيدتهم، ودعاهم إلى الإسلام يدل على ذلك خبر المباهلة الثابت في صحيحي البخاري ومسلم، ولا شك أن هذه المباهلة لا يمكن أن تكون لابتدأ الدعوة، فلا شك أنه قد سبقها حوارات ومجادلات بينهم وبين النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– انتهت بعدم قبولهم الإيمان والامتناع

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه أمر الملاعنة فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَان إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ قَالَ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ لَا تَفْعَلْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا فَقَالَ لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ[1]، هذا ما ثبت في الحديث الصحيح من قصة وفد نَجْرَان ودعوتهم إلى المَبَاهَلَةِ، والمباهلة هي أن يجتمَعَ الفريقان المتنازعان ويدعوان على الكاذب باللعنة من الله.

وقد ذكر ابن إسحاق أيضا أن الْيَهُود والنَصَارَى اجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَتَنَازَعُوا، فَقَالَتْ الْأَحْبَارُ مَا كَانَ إبْرَاهِيمُ إلّا يَهُودِيّا، وَقَالَتْ النَصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَان: مَا كَانَ إبْرَاهِيمُ إلّا نَصْرَانِيّا، فأنزل اللهُ -عَزّ وَجَلّ- فِيهِمْ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2]" [3].

وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَلَمّا قَدِمَ أَهْلُ نَجْرَان مِنْ النَصَارَى عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَتَتْهُمْ أَحْبَارُ يَهُودَ فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمِلَةَ: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ وَكَفَرَ بِعِيسَى وَبِالإنجيل، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَان مِنْ النَصَارَى

=

عن المباهلة، وطلب رجل أمين يحكم بينهم في أمور اختلفوا فيها، ومما يؤيد وقوع مثل هذه الحوارات ما ورد في سورة آل عمران من مناقشات لعقيدة النَصَارَى ورد على أقوالهم ودعوتهم إلى المَبَاهَلَةِ، لكننا لا نجزم أنها نزلت بشأن هذا الوفد خاصة، والله أعلم بحقيقة ما كان.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نَجْرَان، (ج ٧ / ٦٩٥) (ح ٤٣٨٠)، ومسلم في صحيحه باب فضائل أبي عبيدة (١٥/ ١٩٢).

(٢) آل عمران:٦٧- ٦٨.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٥٥٢/١)

لِلْيَهُودِ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ وَجَحَدَ نُبُوّةَ مُوسَى وَكَفَرَ بِالتّوْرَاةِ فأنزل اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَيْ: كُلّ يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقَ مَا كَفَرَ بِهِ أَيْ يَكْفُرُ الْيَهُود بِعِيسَى، وَعِنْدَهُمْ التّوْرَاةُ فِيهَا مَا أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى -عَلَيْهِ السّلَامُ- بِالتّصْدِيقِ بِعِيسَى -عَلَيْهِ السّلَامُ- وَفِي الإنجيل مَا جَاءَ بِهِ عِيسَى -عَلَيْهِ السّلَامُ- مِنْ تَصْدِيقِ مُوسَى -عَلَيْهِ السّلَامُ- وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ التّوْرَاةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكُلّ يَكْفُرُ بِمَا فِي يَدِ صَاحِبِهِ[(١)].

ولم ينقطع الحوار بين النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبين نَصَارَى نَجْرَان بانْصِرافِ وَفْدِهِم مِن عِنْده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل كانوا يُحَاوِرُنَ رُسُلَهُ، ويَسْأَلُونَهُم عَمَّا بَدا لَهُم، ومِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الإمَامُ مُسلمٌ في صَحِيْحِهِ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَان سَأَلُونِي فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»[(٢)].

تعليق عام على هذه الحوارات

هذه حوارات متعددة بين النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبين النَصَارَى، أبان لهم النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الحق، وجادلهم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وبعد أن أوضح لهم الحق جليًا، وأبان لهم الحجةَ وأزال عنهم الشُّبهةَ، وأبوا قبول الحق وجه الله تعالى رسوله الكريم إلى أن ينهي الجدل والمناظرة مَعَ أولئك النَصَارَى حول هذه القضية الواضحة، وحول هذا الحق البين، وأن يدعوهم إلى المبَاهَلَةِ بعد ظهور البيانِ.

فدعا الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من كانوا يناظرونه في هذه القضية إلى هذا الاجتماع الحاشد، ليبتهل الجميع إلى الله أن ينزل لعنته على الكاذب من الفريقين. فخافوا

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (١/ ٥٤٩). وهذه الحوارات وإن ذكرها ابن إسحاق بدون سند فإنَّ نص القرآن يؤيدها؛ لأنه يحكي قول الْيَهُود والنَصَارَى ثم يرد عليه، فكيفما كان الأمر فلا شك أنها أقوال صدرت منهم ورد عليه ا النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بنص القرآن.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب ما يستحب من الأسماء (١٤/ ١١٦).

العاقبة وأبوا المباهلة. وتبين الحق واضحاً، ولكنهم فيما ورد من الروايات لم يُسْلِمُوا احتفاظاً بمكانتهم من قومهم، وبما كان يتمتع به رجال الكنيسة من سلطان وجاه ومصالح ونعيم!!! وما كانت البينة هي التي يحتاج إليها من يصدون عن هذا الدين، إنما هي المصالح والمطامَعَ، والهوى يصد الناس عن الحق الواضح الذي لا خفاء فيه[1].

ويتبين من هذا الحوار أن أساس الحوار بين أَهْل الْكِتَابِ دعوتهم إلى كلمة سواء: إلى عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، وألا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله... وإلا فهي المفاصلة التي لا مصاحبة بعدها ولا مجادلة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [2].

وإنها لدعوة منصفة من غير شك، دعوة لا يريد بها النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يتفضل عليهم هو ومن معه من الْمُسْلِمِينَ . . كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد، لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يتعبد بعضهم بعضًا، دعوة لا يأباها إلا متعنت مفسد، لا يريد أن يفيء إلى الحق القويم.

إنها دعوة إلى عبادة الله وحده لا يشركون به شيئًا، لا بشراً ولا حجراً، ودعوة ألا يتخذ بعضهم بعضاً من دون الله أرباباً، لا نبيّاً ولا رسولاً، فكلهم لله عبيد، إنما اصطفاهم الله للتبليغ عنه، لا لمشاركته في الألوهية والربوبية، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [3]، فإنَّ أبوا عبادة الله وحده دون شريك، والعبودية لله وحده دون شريك، وهما المظهران اللذان يقرران موقف العبيد من الألوهية ... إن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون.[4]

وتدل هذه الحوارات على "جواز مجادلة أَهْل الْكِتَابِ ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم، ولا

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (١/ ٤٠٥).

(٢) آل عمران:٦٤.

(٣) آل عمران: الآية٦٤.

(٤) السابق (١/٤٠٦)

يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليولِ ذلك إلى أهله"[١].

ويدل إرسال النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبي عبيدة مَعَ وفد نَجْرَان، وكذلك إرساله المغيرة بن شعبة بعد ذلك على أن من يرسل إلى أَهْل الْكِتَابِ ويتعرض لمناظرتهم ومجادلتهم ينبغي أن يكون أميناً، وهو الذي لا غرض له ولا هوى، وإنما مرادُه مجردُ مرضاة الله ورسوله، لا يشوبُها بغيرها، فهذا هو الأمين حقُّ الأمين، كحال أبي عُبيدة بن الجرَّاح.

وتدل حادثة المغيرة ابن شعبة وسؤال النَصَارَى له على مناظرة أَهْل الْكِتَابِ، وجوابهم عما سألوه عنه، فإنَّ أشكل على المسؤول، سأل أهل العلم[٢].

وتدل الحوارات السابقة أنَّ السُّنَّة فى مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حُجَّةُ اللهِ، ولم يرجعوا، بل أصرُّوا على العناد أن يدعوهم إلى المبَاهَلَةِ، وقد أمر اللهُ سبحانه بذلك رسولَه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولم يقل: إنَّ ذلك ليس لأُمتك مِن بعدك[٣].

اعتراض ومناقشة:

وقد تعرض موريس بورمانس -وهو أحد دعاة الحوار بين النَصَارَى والْمُسْلِمِينَ في العصر الحديث- لحادثة المباهلة المذكورة في آية سورة آل عمران، والتي ذكرناها في الحوار السابق، واصفًا إياها بأنَّها بدايةٌ مأساويةٌ للحوار الإسلامي المسيحي؛ حيث يقول في كتابه "**توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والْمُسْلِمِينَ**" عند تقويمه للعلاقات الإسلامية بأَهْل الْكِتَابِ في العهد النبوي: "إنَّ الإسلام الذي نشأ في شبه جزيرة العرب متصديًّا للشرك المكي، كان بوسعه **أصلًا الاعتقاد بأنه النسيب الداني أو القاصي لليهودية القائمة في يثرب**، وفي غيرها من المدن، أو الجار الذي تربطه أواصر الود والتكامل مَعَ تلك الجماعات في اليمن والحبشة القائلة بالطبيعة الواحدة، أو مَعَ تلك الكنائس النسطورية في الإمبراطورية الساسانية واليعقوبية أو الملكية في الإمبراطورية البيزنطية، ولكن سرعان **ما اعتمد أسلوب التحريم والنبذ**؛ فلم يعد **الحوار الإسلامي المسيحي الذي بدأ مأسويًا عند مباهلة المدينة**

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣ / ٦٣٩).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣ / ٦٤٢).

(٣) السابق (٦٤٣/٣)

حين خضع مسيحيو نَجْرَان للدولة الإسلامية الفتية، وقبلوا عهد الذمة التي فرضته، سوى سلسلة من المصادمات السياسية أو الثقافية أو الدينية، أوجدت فيها المماحكات الجدلية، والتحديات الأيدلوجية، جمًا من الأفكار الخاطئة الناجمة عن إساءة في الفهم أو تسرع في الحكم، وتفاقمت الأمور على مر الزمن".(١)

فالكاتب في هذا النص يُنكِرُ الأسلوبَ الذي تعاملَ به النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ أَهْل الْكِتَابِ في العهد النبوي، مفترضًا أنه كان ينبغي على النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إقامة علاقات ووشائج مبنية على التعاون والتكامل الناشئ عن التأثير والتأثر بين الإسلام وبين الْيَهُودية والنصرانية، وهذا ناشيء عن عدم فهم الكاتب لطبيعة الإسلام باعتباره دينًا سماويًّا، مصدر التلقي فيه وحي السماء، فلم يأتِ ليقر الْيَهُودية أو النصرانية ويتعاون معها؛ بل لينسخ شريعتها ويقوم أعوجاج أهلها، فقد جاء النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد انحرف الْيَهُود والنَصَارَى عن التوحيد، ورغبوا عن ملة إبراهيم، حرفوا كتبهم، وضيعوا شريعتهم ثم اتفقوا على إنكار ما أيقنت به نفوسهم، ونطقت به كتبهم من صدق النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستنكفوا عن الإيمان به، إيثارًا للعاجلةِ على الباقية.

فكيف يمكن للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو المبلغ عن ربه أن يقبل هذه الأديان الباطلة والعقائد المنحرفة، ويقيم معها أواصر الود والتكامل كما يدعي الكاتب، وقد بعث -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليدعو الناس جميعا إلى الإيمان بالله تعالى، وإخلاص العبادة له، وقد حذره سبحانه وتعالى من أن يتبع أهواء أَهْل الْكِتَابِ، وما انحرفوا به عن شريعة أنبيائهم.

قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ

(١) موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والْمُسْلِمِينَ ترجمة يوحنا منصور، المكتبة البولسية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦م (ص٢٥-٢٦).

(٢) المائدة:٤٩.

(٣) المائدة:٤٨.

وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (١).

لقد كَانَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في أول الأمر يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْل الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ فِيه مخالفة المشركِينَ من عبدة الأوثان، وذلك تألفاً لهم حتى يراجعوا أنفسهم عما هم عليه من التكذيب والعناد، فيؤمنوا به –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كما حدث في صيامه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يوم عاشوراء عندما دخل المدينة؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضى الله عنهما– قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُود يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَسُئِلُوا عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا: هَذَا الْيَوْمُ الَّذِى أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ؛ فَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ». فَأَمَرَ بِصَوْمِهِ».(٢)

كما شرع الله لنبيه الصلاة أولًا إلى بيت المقدس؛ إذ كان قبلة الأنبياء، فبعث بما بعث به الرسل قبله وبما يعرفه أَهْل الْكِتَابِ؛ ليؤكد لهم أنَّ دعوته هي دعوة الرسل بعينها، وليس بدعًا من الرسل، ولا مخالفًا لهم بل مصدقًا لهم مؤمنًا بهم، فلما لم يؤثر فيهم ذلك التآلف، وأصروا على العناد والجحود، وأبوا الإيمان به، أمره الله تعالى بمخالفتهم، وبين له أن هؤلاء الْيَهُود والنَصَارَى قوم ذوو عناد؛ لا يمكن أن يرضوا عنك مهما تألفتهم؛ فإنهم لن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم، كما قال –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ (٣).

وقد أقام –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الحجة على صدقه وصحة نبوته، واستفاضت الآثار عن أهل الكتاب زمن النبوة أنَّهم كانوا يعلمون بصدقه، ويستفتحون على المشركِينَ به، فلما جاء من العرب حسدوه وأبوا الإيمان به. فلم آيس النَّبِيّ من إيمانهم، وسلك كل طريق لهدايتهم فأبوا إلا الجحود والنكران، والتآمر على الدعوة الإسلامية، والتعاون مَعَ أعدائها،

(١) الشورى:١٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصيام، باب صيام يوم عاشوراء (٤/ ٢٨٧) (ح٢٠٠٢). وأخرجه مسلم كتاب الصيام باب صوم يوم عاشوراء (٩/٨).

(٣) البقرة:١٢٠.

والكيد لها ليل نهار حدثت تلك المصادمات التي كانوا هم سببها.

إن الكاتب ينكر تلك البداية المأساوية للحوار الإسلامي النصراني، إن مأسوية هذه البداية عند الكاتب تتمثل في عجز نَصَارَى نَجْرَان على إقامة الحجة على صحة عقيدتهم، وإقرارهم بصدق النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وانقطاعهم في المحاورة معه، فلما أبوا قبول الحق بعد قيام الحجة عليهم به، وإبطال النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للشبهات التي تعلقوا بها، دعاهم بأمر من ربه إلى المبَاهَلَةِ.

وما ضر الصادق المتيقن من دينه وعقيدته، المصر عليها إن دعي إلى المبَاهَلَةِ، وإنما امتنع أولئك النَصَارَى عن هذه المباهلة؛ لعلمهم بصدق النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنهم إن باهلوه لم يفلحوا.

إن هذا الكلام من هذا الكاتب وغيره كثيرٌ ليدل على نوعية الحوار الذي يريده أولئك النَصَارَى، إنهم لا يريدون حوارًا على نهج النبوة، وإنما يريدون حوارا تبرز فيه المجاملة والمداهنة إلى أقصى صورها؛ لاستقطاب أصحاب الأهواء وترويج الدعاية على الأغمار والجهلاء.

حوار يتخلى فيه المسلمون عن عقيدتهم وشريعتهم، عما أمرهم الله به من ولاء وبراء، في الوقت الذي ينشطون هم في جد ودأب في نشر التنصير، وتوسيع دائرته، إنَّ الحوارَ المطلوبَ منَّا هو حوارُ على **نهج حوارات مؤتمرات السلام العربي/ الإسرائيلي**؛ حيث يجتمَعَ الفرقاء على مائدة واحدة للتفاوض من أجل السلام، وفي الوقت ذاته تقوم الآلية العسكرية لأولئك الذين يجلسون من أجل السلام -بزعمهم- بهدم البيوت، وقتل الأبرياء، واغتصاب النساء، وانتهاك حرمات الطرف الآخر، إن مثل هذه المؤتمرات وتلك مثل لصوص أرادوا الاستيلاء على بيت وإذلال أهله، ولما لم يجدوا طريقًا إلى ما أرادوا، نظروا لأقل من في البيت عقلا وعلمًا ودينًا، فخدعوه بزخرف الكلام، ليميل إليهم ليَسْمُرَ معهم، في الوقت الذي ينطلق بقية الأشرار لتحقيق مآربهم.

المبحث الثالث: أهداف الحوار مَعَ أَهْل الْكِتَابِ

تبين لنا من خلال الحوارات السابقة مع اليهود والنصارى أهداف الحوار مع أهل الكتاب والتي يمكن أن نحددها في النقاط التالية:

١- الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك:

إنَّ أَسَاسَ دَعْوةِ الرُّسلِ جَمِيْعًا: هو الدعوةُ إلى إِفْرَادِ الله عَزَّ وَجَلَّ بالعبادة، وأن لا يشرك معه غيره في شيء منها، وبهذا التوحيد أرسلت الرسل ونزلت الكتب وافترق الناس إلى مؤمنين وكفار.

فما من رسول إلا ودعا قومه إلى عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ، ابتداء بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُوانتهاء بخاتم الأنبياء مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[١]، وقال عَزَّ وَجَلَّعن نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

وذكر الله عَزَّ وَجَلَّعن قوم نوح أنهم قولهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾[٣] وما كان يدعوهم إلا أن يؤمنوا بالله ويخلصوا العبادة له، ويرجو اليوم الآخر، وقال عن هود ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٤] وقال عن شعيب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[٥] وقال عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٦] قال عن نبيه مُحَمَّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[٧].

---

(١) الأنبياء: ٢٥.
(٢) الأعراف:٥٩.
(٣) هود: ٣٢.
(٤) الأعراف:٦٥.
(٥) الأعراف: من الآية٨٥.
(٦) المائدة: ٧٢.
(٧) الزمر:١١.

هذا هو ما أَمر الله أنبيائه جميعًا أن يدعوا الناس إليه، ويجادلوهم فيه، وهو ما أُمر النَّبِيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن يحاور ويجادل أَهْل الْكِتَابِ عليه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١).

يأمر الله –عز وجل– نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أن يدعو مجادليه إلى كلمة إنصاف، لا ميل فيها لأحد على صاحبه: "قل يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لأَهْل الْكِتَابِ من الْيَهُود والنَصَارَى تعالوا إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل هي أن نوحد الله، فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ أي: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ يقول: فإن أَعْرَضُوا عمَّا دعوتهم إليه من الكلمة السَّوَاءِ التي أمرتك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها، فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك: ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، وقال –عز وجل– لنبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (٢).

لقد كانت دعوة النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ترجمةً واقعيةً لما أمر الله –عَزَّ وَجَلَّ– به من دعوة أَهْل الْكِتَابِ إلى الإسلام وجدالهم عليه، فقد حاور –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نَصَارَى نَجْرَان، ودعاهم إلى التوحيد ونبذ الشرك، وأقام الحجة على بطلان عقيدتهم، ورد ما احتجوا به عليها من شبهات، كما أرسل الرسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الكتب إلى ملوك أهل الأرض —ومنهم أَهْل الْكِتَابِ— تلبية لأمر الله تعالى يدعوهم إلى الإسلام، كما قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في رسالته لهرقل ملك الروم: « فإني أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإنَّ تَوَلَّيْتَ فإنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ».

وبذلك كان –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يوصي رسلَهُ فلمَّا أرْسلَ النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) آل عمران:٦٤.

(٢) آل عمران: ٢٠.

وَسَلَّمَ- مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إلى أن يوحدوا الله»"[1].

كما كان رسول الله يغشى أَهْل الْكِتَابِ في مجالسهم يدعوهم إلى الإيمان بالله ويجادلهم في ذلك، وقد سبق بيان أنَّه دخل على الْيَهُود كنيستهم يوم عيد لهم فقال: "يَا مَعْشَرَ الْيَهُود أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ"، وأنَّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دخلَ بَيْت الْمِدْرَاسِ فَنَادَاهُمْ قائلًا: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا».

٢- الدعوة إلى الإيمان بالنَّبِيّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- واتباعه:

فمن لوازم الإيمان بالله تعالى الإيمان بالنَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنَّهُ بُعِثَ بالإسلام، وأنَّ الإسلام نَسَخَ ما سبقه من الشرائع، وقد أخذ اللهُ العَهدَ على الأنبياءِ السَّابقين وأتباعهم باتباعه حين بعثته، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾

وكان أَهْل الْكِتَابِ كما سبق يعلمون بمبعثه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعندهم من العلم بصفاته، فيما هو بين أيديهم من كتبهم ما يؤكد صحة نبوته، كما سبق بيان ذلك قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ أي: يعرفون أنه رسول الله، وقال أيضًا: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وقد كان الْيَهُود يستفتحون على أهل يثرب بمبعثه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مما كان

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب باب ما جاء في دعاء النَّبِيّ -صلى الله عليه وسلم- أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (١٣/ ٣٥٩) (٧٣٧٢)، وبنحوه مسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ١٩٦).

(٢) الأعراف:١٥٧.

سببًا في مسارعتهم إلى الإيمان به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد سارع إلى الإيمان به طائفة من مخلصي أَهْل الْكِتَابِ كالنجاشي، وعبد الله بن سلام، وغيرهم.

وقد أمر اللهُ نبيَهُ أنْ يُعْلِنَ هَذِهِ الحَقِيْقَةَ، ويجادلَ أَهْل الْكِتَابِ عليها فقالَ تَعَالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]؛ حيث يأمرُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يُعْلِنَ للنَّاس جَمِيْعًا أنَّهُ رَسُولٌ مرسلٌ مِنْ قِبَلِ رَبِهِ إلى النَّاسِ جَمِيْعًا، وأنَّهُم إنْ أَرَادُوا الهِدَايَةَ فَيَجِبُ عَلَيْهِم أنْ يُطِيْعُوهُ باتِبَاعِ أَمْرِه وتَصْدِيْقِ خَبَرِه.

وكان النَّبِيّ يدعو في كتبه إلى ملوك الأرض إلى هذه الحقيقة كما كتب إلى هرقل في صدر رسالته: «مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ؛ فإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ».

ولما دخل -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما سبق على الْيَهُودي وهو ناشر التوراة قال له: «أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ هَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِكَ ذَا صِفَتِي وَمَخْرَجِي»، وفي حديث الفلتان بن عاصم قال لليهودي: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟»، وقال له أيضًا: « فبم تقرأ التَّوْرَاةِ وَالإنجيل أتَجِدُنِي نبيا؟». وعندما دخل إلى الْيَهُود دعاهم إلى الإيمان به وأعلنها لهم: « فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَنَا الْحَاشِرُ، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَأَنَا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى آمَنْتُمْ أَوْ كَذَّبْتُمْ».

٣- النهي عن الغلو في الدين:

فقد أمر الله -عَزَّ وَجَلَّ- نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنْ ينهى أَهْل الْكِتَابِ عن الغلو في دينهم، ومجاوزة الحد فيه باتباع أهواء نفوسهم. قال الله - عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2].

وهذا خطاب للنَصَارَى كما دلَّ عليه السياق، وكما في قوله تعالى: يَتَأَهْلَ

(١) الأعراف:١٥٨.

(٢) المائدة:٧٧.

ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١).

وقد دعا النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– النَصَارَى إلى الإيمانِ باللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، وعدمِ الغلو في دينهم، وأنكر عليهم ما نسبوه إلى عيسى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– بغيًا وعدوانًا، وأنكر –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– على عدي بن حاتم وضعه الصليب في رقبته، ومغالة النصارى في اتباع أحبارهم ورهبانهم، حتى أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال.

وكما نهى النَصَارَى عن الغلو في دينهم، أنكر على الْيَهُود تقصيرهم في دينهم، وعدم العمل بأحكامه، وإخفاء ما يدل على صفاته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فيها، وكما سبق أنكر عليهم تبديلهم حد الرجم، وأقام الحجة عليهم بوجوده في شريعتهم. فصدع –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بما أمره الله به، وجادل الْيَهُود والنَصَارَى فيما هم عليه من الباطل، وصرح لهم بالحق بلا مداهنة ولا مدارة.

٤– بيان ما هم عليه من الباطل:

لقد كان من أهداف حوارات النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَعَ أَهْل الْكِتَابِ، بيان ما هم عليه من الباطل بإثبات تحريفهم لكتبهم وانحرافهم عن مناهج الأنبياء، وتبديل شرع الله، وذلك لإظهار باطلهم للمؤمنين ليحذروا منه؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) كذلك ليتبين أَهْل الْكِتَابِ حقيقة ما هم عليه من الباطل؛ فينتهوا عنه، ويكون ذلك دافعًا لهم للتوجه إلى الإسلام.

ولقد حاج النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نَصَارَى نَجْرَان ويهود المدينة، وأظهر باطلهم فلما أظهر لهم الحق، وأبان لهم الباطل، وأقام عليهم الحجة، نفى عنهم الشبهة، وأبوا قبول الحق دعاهم إلى المبَاهَلَةِ فامتنعوا؛ خوفًا من عذاب الله.

(١) النساء: ١٧١.

(٢) الأنفال آية: (٤٢).

٤- الرد على شبهاتِ أَهْلِ الْكِتَابِ:

اهتم القُرْآنُ الْكَرِيْمُ بهذا الهَدَفِ فَذَكَرَ شُبُهَاتِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَمَرَ نَبِيَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنْ يَرُدَ عَلَيهَا بأوضح برهان فيظهر الحَقَ ويدحض الباطل؛ فإنَّ كثيرًا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ يَبْلُغُهُم الإسلامُ ولكن يمنعهم من الإيمانِ بهِ شبهاتٌ يحتاجونَ إلى أجوبةٍ عليها.

فلما ادعى النَصَارَى في عيسى أنه إله، وقالوا إن لم يكن إلها فمن أبوه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١).

ولما تنازع الْيَهُود والنَصَارَى في إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فادعى الْيَهُود إن إبراهيم كان يهوديا، وادعت النَصَارَى أنه كان نصرانيا وجادلوا النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ذلك أمر الله نبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يرد عليهم بقوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢).

كما تعرض النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لرد شبهات نَصَارَى نَجْرَان في حقيقة المسيح على النحو الذي تعرضه سورة آل عمران في ذكرها قصة المسيح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ورد افترآءت النَصَارَى عليه وغلوهم فيه، كما تعرض لرد شبهات اليهود والنصارى في زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، كذلك تعرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرد على شبهات يهود المدينة كما سبق بيان ذلك.

(١) آل عمران:٥٩.

(٢) آل عمران:٦٥- ٦٧.

الخاتمة

تناول هذا البحث بالعرض والتحليل حوارات النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مع أهل الكتاب معلمًا ومرشدًا لهم يبينُ لهم الحق، ويشفي قلوبهم من الشبه، ثم هو – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يدعوهم إلى توحيد الله –عز وجل، والإيمانِ بنبوته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وينهاهم عن اتباع أهوائهم، والغلو في دينهم.

وقد حاول هذا البحث من خلال تتبع تلك الحوارات في السيرة النبوية – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – التعرف على منهج النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في حواراته مع أهل الكتاب، ليكون نهجه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في هذه الحوارات نبراسًا لنا نقتدي به في حواراتنا مع الآخر.

هَلْ نَقْبَلُ الحِوَارَ مَعَ الآخَرِ أم نَرْفُضُه؟ وما مَشْرُوعِيَةُ الجَدَلِ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ؟ وما المَوْضُوْعَاتُ التِي يَنْبَغِي أنْ نَتَحَاوَرَ عَلَيْهَا؟ مَنْ نُحَاوِر؟ وَعَلَى أي شيءٍ نَتَحَاوَرُ؟ ومَا الغَايةُ مِنَ الحِوَارِ؟ أَسْئِلَةٌ مُتَعَدِدَةٌ تَتَعَلَقُ بِالحِوَارِ حَاوِلُ هَذَا البَحْثُ أَنْ يَتَلَمَسَ إِجَابَاتِهَا مِنْ خِلالِ عَرِضِ وَتَحْلِيْلِ حوارات النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مع أهل الكتاب.

حيث تعرض لمناقشة تلك القضايا من خلال قراءات متعددة في المصادر الإسلامية الأصيلة، ترتكز أساسًا على كتاب الله وما صح من أحاديث النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تعرض البحث من خلال مباحثه الثلاثة لحوارات النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وقد تبين لنا أنَّ الهدف العام من أهداف الحوارِ مَعَ أَهْل الْكِتَابِ هو الدَّعوةُ إلى دينِ الإسلامِ وبيان مَحَاسِنِهِ وفَضَائِلِهِ، وردُ شبهاتِ أَهْل الْكِتَابِ، وبيان ما اشتملت عليه كتبهم من بِشَارةٍ بالنَّبِيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، لم نجدْ مِنْ بين تلك الأَهْدَافِ دعوةً منه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى التقارب مَعَ الْيَهُود أو مَعَ النَصَارَى، رغم توافر الأسبابِ الداعية إلى ذلك، لم نجدْ أيَّ أَثَرٍ لتقارب مَعَ أَهْل الْكِتَابِ لمواجهة الشركِ وأهلِه، بل على العكس من ذلك وجدنا أَهْل الْكِتَابِ يتقاربون مَعَ المشركين؛ لمواجهة الدعوة الإسلامية، ويتحينون الفرصة للقضاء عليها.

هاجر النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى المدينة، وهي محفوفة بثلاثة قبائل كبار من

قبائل الْيَهُود، وقد قدموا على النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ودخل عليهم النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيوتهم ومجالس علمهم غير أن خطابه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد خلا معهم من أي لون من ألون التقارب الديني، وإنما دعاهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى إسلام الوجه لله، والتوجه له وحده سبحانه بالعباده، ونهاهم عن الغلو في الدين، واتباع الأحبار والرهبان بالباطل.

وهكذا كان يأمر أتباعه في مجادلة غيرهم، فلما أرسل -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- معاذًا إلى اليمن قال له إنك تقدم قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إن يوحدوا الله.

لقد كان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدعو الناس ويجادلهم إلى ما دعاهم إليه الأنبياء من قبله، والمتمثلة في قوله تعالى ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[1] ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾[2] تلك الدعوة التي أوصى أتباعه أن يحملوها إلى الناس في حياته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبعد انتقاله إلى جوار ربه -عَزَّ وَجَلَّ- كما قال ربعي بن عامر في حواره مع قائد الفرس: "ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".

وعلى الرغم من الأطوار المتعددة التي مرت بها الدعوة الإسلامية في العهد المدني، من الضعف والقوة، والسلم والحرب، والأمن والخوف، إلا أن خطاب النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدعوي لم يتغير، بل ظل ثابتًا مطردًا مقتصرا على دعوة واحدة، وهي الدعوة إلى إسلام الوجه لله، والإيمان بنبوته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، «أسلموا تسلموا» متأولا في ذلك قول الله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

(١) الأعراف آية: (٥٩).

(٢) الشورى آية: (٤٧).

(٣) الشورى:١٥.

وعلى الهدي نفسه كاتب -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ملوك النَصَارَى داعيًا لهم إلى الإسلام، لم يعرض عليهم في رسائله التقارب من أجل صلاح البشرية، أو التعاون على إرساء القيم المشتركة، لعلمه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنَّه لا صلاح ولا فلاح للبشرية إلا بالاستقامة على أمر الله -عَزَّ وَجَلَّ- وإخلاص العبودية له سبحانه.

لقد أعلن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- براءته مما ألحقه اليهود والنصارى بملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من انحرافات أدت بهم إلى الشرك بالله، والخروج من ملة إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودعاهم إلى قول فصل، وهو التخلي عما هم عليه من باطل. والتحلي بتوحيد الله -عَزَّ وَجَلَّ- واتباعه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبدون ذلك لا يمكن أن يلتقي الإسلامُ مع يهودية ولا نصرانية في منتصف الطريق، ولا في أي طريق، لأن دين الله لا يقبل المداهنة ولا المجاملة، فإما إسلام كله عدل ونور، وأما كفر فيه ظلم وجور. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[1]

(١) التوبة:١٢٩.

فهرس المصادر والمراجع

- البداية والنهاية، ابن كثير: تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر ت محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمراوي دار الفكر بيروت، ١٤١٥، ١٩٩٥م.
- تفسير القرآن العظيم ابن كثير: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م،
- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، دار باوزير، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
- توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والْمُسْلِمِينَ، موريس بورمانس، ترجمة يوحنا منصور، المكتبة البولسية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦م
- زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م
- السلسلة الصحيحة: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ
- السيرة النبوية، ابن هشام، ت مصطفى السقا، وعبد الحفيظ شلبي وإبراهيم الإبياري، تراث الإسلام، الطبعة الثانية
- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث د. علي مُحَمَّد مُحَمَّد الصلابي نسخة من الكتاب من إهداء المؤلف على موقع الشبكة الليبية libya-web.net
- شرح صحيح مسلم للنووي، المطبعة المصرية بالأزهر .الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م،
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لابن حبان، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط٢، ١٤١٤ – ١٩٩٣،
- صحيح ابن ماجة، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤١٧، ١٩٩٧م).

- صحيح الترمذي، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م،
- صحيح السيرة النبوية: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية، عمان ، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، القاهرة ، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م،)
- فقه السيرة، الغزالي، تحقيق مُحَمَّد ناصر الدين الألباني مؤسسة ومكتبة الخافقين دمشق. ١٩٩٥م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب: دار الشروق بيروت، ط١٠، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م
- المستدرك، الحاكم، ط دار المعرفة بيروت، بدون ذكر الطبعة أو سنة الطبع،
- المسند، أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م)
- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، د. حكمت بشير ياسين: دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م
- موقف النَّبِيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الديانات الثلاثة (الوثنية والْيَهُودية والنصرانية)، حسن خالد: دار الكتاب الإسلامي، بدون ذكر الطبعة أو سنة الطبع.